د. إدوار غالى الدهبى

أقول لدعاة الفتنة الطائفية



دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب



أقول
لدعاة الفتنة الطائفية



الدكتور إدوار غالى الدهبى

أقول لدعاة الفتنة الطائفية

الطبعة الأولى
٢٠٠٠

الناشر
دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

الكتـــــاب: أقول لدعاة الفتنة الطائفية

المـؤلـــف : إدوار غالى الدهبى

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٢٣٧١

ترقيم الدولى : ISBN
977 - 303 - 232 - 9

تاريخ النشر: ٢٠٠٠

الناشــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع(عبده غريب)
شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز- عمارة برج آمون - الدور الأول - شقة ٦
☎ ٢٤٦٢٥٦٢ - فاكس/ ٢٤٧٤٠٣٨

التوزيــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)

المطابــع . مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)

بسم الله الرحمن الرحيم





مُقَدِّمَة

يخطئ كل من يتوهم أن الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب المصرى فى خطر، أو أنها يسهل النيل منها عن طريق إحداث الفتن الداخلية، واستعداء الأجنبى. إن الوحدة الوطنية هى الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها جميع تلك المحاولات. والذين يتوهمون أن فى مقدورهم النيل منها، يجهلون تماما طبيعة وتاريخ هذا الشعب العظيم الذى انصهر فى بوتقة واحدة على مر التاريخ، واستوعب الدرس الخالد الذى يؤكد أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير.

وأود أن أنبه إلى أن الأحداث المؤسفة التى وقعت فى أوقات متفرقة بين قلة من المسلمين والأقباط، والتى سميت خطأ بالفتنة الطائفية، هى فى حقيقتها ليست "فتنة" وليست "طائفية"، وإنما هى اعتداءات متفرقة من فئات تنتمى إلى الفكر الدينى المتطرف الذى يتخذ من الدين وسيلة للاستيلاء على مقاعد الحكم، وقد توهمت هذه الفئة المتطرفة أن أيسر سبيل لتحقيق أغراضها السياسية هو إحداث فتنة طائفية بين المسلمين والأقباط. وأبادر إلى القول بأن هذه الفتنة لم تقع فى الماضى، ولن تقع فى المستقبل، لأن صخرة الوحدة الوطنية التى تكونت على مدى أربعة عشر قرناً، كفيلة بتحطيم كافة تلك المحاولات.

هذا هو المحور الذى يدور حوله هذا الكتاب، الذى جعلناه فى قسمين: **القسم الأول** يتناول "الرد على دعاة الفتنة الطائفية" من خلال مجموعة من المقالات والبيانات التى تؤكد للذين يحاولون إحداث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد، أن تلك المحاولات مآلها الفشل، ومن شأنها أن تزيد صخرة الوحدة الوطنية قوة وصموداً.

والقسم الثانى عنوانه "المساواة فى الإسلام" ويتناول بعض البحوث والدراسات التى قدمتها إلى المؤتمرات الدينية فى مصر والخارج، وكلها تدور حول محور أساسى هو أن الإسلام يقبل الآخرين المختلفين فى العقيدة الدينية، ويأمر بالتعايش السلمى معهم، ووضعهم على قدم المساواة مع المسلمين، بل ويأمر بالبر بهم والقسط إليهم، عملاً بالآية الكريمة "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين" (الممتحنة ٨). ويلاحظ أن البر جاء فى هذه الآية الكريمة سابقاً على القسط. والبر يتسع ليشمل الإحسان وتقديم الخيرات والمعاونة والمساعدة والنجدة وحسن المعاملة.

إن مصر بخير. وستظل موحدة بتماسك أبنائها وإصرارهم على محاربة الذين يحاولون شق صفوفهم، أو وقف مسيرتهم نحو التقدم والارتقاء. .

والله من وراء القصد، وهو سبحانه يهدى إلى سواء السبيل.

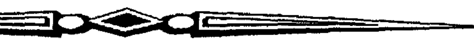
القسم الأول

الرد ...

على دعاة الفتنة الطائفية







كلمة عتاب
إلى بعض أقباط المهجر(١)

آلمنى أشد الألم ما قرأته نقلاً عن وكالات الأنباء من أن بعض أقباط المهجر قد نشروا إعلانا مدفوع الأجر فى صحف أمريكا، محتجين على ما حدث فى ديروط وصنبو، ومطالبين الدول الكبرى -التى اكتسبوا جنسيتها- بالتدخل لحماية الأقباط مما يتعرضون له من عدوان.

وإنى إذ استنكر بشدة موقف هذه القلة -التى وصفها بحق الأستاذ إبراهيم نافع بأنها تمثل بعض "المارقين والخارجين عن الوطنية المصرية الأصيلة"، وهم على أية حال قلة "لا وزن لها فى وسط أغلبية المصريين فى المهجر" (أهرام الجمعة ١٩٩٢/٧/٣١)، أقول إذ استنكر موقف هذه القلة نحو وطنهم الأصلى، أود -وبتركيز شديد- أن أحصر حديثى فى النقاط الثلاث الآتية:

أولا: الذين نشروا ذلك الإعلان المدفوع الأجر، يجهلون أو يتجاهلون التاريخ الوطنى للأقباط منذ أقدم العصور، ولا يتسع المقام

---

(١) صحيفة الأهرام - ١٩٩٢/٨/١٢.

لسرد التاريخ الطويل لوطنية الأقباط، وإنما يكفينى أن أذكر من التاريخ الحديث الوقائع الآتية:

١- يروى المؤرخون قصة اللقاء الذى تم بين القنصل العام لروسيا القيصرية فى القاهرة والبابا كيرلس الرابع (جلس على كرسى البابوية فى الفترة من ١٨٥٤-١٨٦٢) إذ قال القنصل العام أن الكنيسة الأرثوذكسية فى روسيا تتفق عقائدها مع عقائد الكنيسة القبطية فى مصر، ثم عرض على البطريرك وضع الأقباط فى مصر تحت حماية القيصر الروسى العظيم، وكان ذلك فى عصر تسابق كل الإمبراطوريات على مواقع الاستغلال والنفوذ فى الشرق. ولكن البطريرك رد على القنصل قائلاً: هل يموت القيصر الروسى؟ فرد القنصل فى دهشة قائلا: بالطبع أنه شأن جميع البشر يموت عندما ينتهى أجله، فرد البطريرك: إذن، فلماذا أضع نفسى وأهلى تحت حماية من يموت فى حين أننا جميعا فى حماية حى لا يموت (انظر: محمد حسنين هيكل - خريف الغضب - الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣- ص٣٢٠-٣٢١).

٢- أثناء اندلاع ثورة سنة ١٩١٩ شارك الأقباط مشاركة فعلية وقلبية فى جميع أحداثها، ويروى الكاتب الكبير مصطفى أمين فى مذكراته، "أن أعضاء الوفد من الأقباط ظلوا صامدين إلى جوار سعد أكثر من كثير من أعضاء الوفد من المسلمين...

وأعضاء الوفد الذين نفاهم الإنجليز إلى سيشيل كانوا ستة، أربعة منهم من المسلمين هم سعد زغلول، وفتح الله بركات، ومصطفى النحاس، وعاطف بركات، واثنان من الأقباط هما سينوت حنا ومكرم عبيد. وأعضاء الوفد الذين حكم عليهم بالإعدام كانوا سبعة، ثلاثة من المسلمين هم: حمد الباسل، ومراد الشريعى، وعلوى الجزار، وأربعة من الأقباط هم: مرقص حنا، وواصف غالى، وجورج خياط، وويصا واصف (انظر: مصطفى أمين - من واحد لعشرة - الطبعة الثالثة ١٩٩٠ - كتاب اليوم - ص١٢٨).

وقد أراد الإنجليز أن يثنوا واصف غالى عن كفاحه الثورى فقالوا له: كيف تضع يدك فى يد من قتلوا والدك (المرحوم بطرس غالى - رئيس مجلس الوزراء) فقال لهم: أفضل أن أضع يدى فى يد من قتلوا أبى على أن أضع يدى فى يد من قتلوا وطنى.

ولا يستطيع كل من يكتب عن ثورة ١٩١٩ أن يغفل الحديث عن القمص مرقس سرجيوس -الذى وصفه الدكتور حسين مؤنس بأنه كان زوبعة ثائرة لا تسكن وذكر العديد من أوجه الشبه بينه وبين عبد الله النديم (دراسات فى ثورة ١٩١٩ سلسلة اقرأ العدد ٤١٨ ص٢٢٦)، هذا الثائر العظيم وقف ذات يوم على منبر الأزهر الشريف وقال: إذا كان الإنجليز يتمسكون بالبقاء فى مصر

بحجة حماية الأقباط، فإننى أقول ليمت الأقباط ويحيا المسلمون أحراراً (انظر: طارق البشرى - المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية - سنة ١٩٨٠ ص١٣٦).

٣- رفض الأقباط بشدة فى اللجنة العامة المشكلة لوضع دستور سنة ١٩٢٣ أن يتضمن الدستور أى نص على التمثيل النسبى للأقباط فى البرلمان. والطريف أن بعض الذين طالبوا بهذا التمثيل النسبى كانوا من المسلمين، وقد رفض معظم الأقباط فى اللجنة هذا الاقتراح بحجة أن فكرة تمثيل الأقليات هادمة للوحدة الوطنية وموجبة للتفريق بين أبناء الشعب (نشر الأهرام الاقتصادى - العدد ٩٥٣ فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٨٧ ص ٦٢ هذه المناقشات بالتفصيل). كذلك عقد اجتماع كبير فى الكنيسة البطرسية يوم الجمعة ١٩ مايو سنة ١٩٢٢ ضم جميع فئات الأقباط وقرروا بالإجماع رفض الاقتراح وأرسلوا برقيات بذلك إلى جميع المسئولين فى الدولة (انظر: د. زاهر رياض - المسيحيون والقومية المصرية - سنة ١٩٧٨ ص١٦٧).

ثانيا: بقدر ما ساءنى ذلك الإعلان الذى نشره بعض أقباط المهجر، أسعدنى تصريح قداسة البابا شنودة الثالث فى مؤتمره الصحفى الذى عقد فى دار البطريركية يوم ١٩٩٢/٧/٦ معلناً استنكاره لما طالبت به تلك القلة من أقباط المهجر، وأضاف

قائلا: إنه حتى على فرض أن عرضت علينا إحدى الدول الكبرى مثل هذا التدخل، فإننا بالقطع سنرفضه (تراجع صحف يوم ١٩٩٢/٧/٧). وهذا أمر طبيعى من قبل الكنيسة القبطية ذات التاريخ الوطنى على مر العصور، ومن البابا شنودة الثالث بالذات المعروف بوطنيته الصادقة، فهو صاحب العبارة الشهيرة: مصر ليست مجرد وطن نعيش فيه، بل هى وطن يعيش فينا.

وأود أن أذكر للكافة أن موقف البابا شنودة الثالث هو ذات موقف جميع أقباط مصر الذين يرفضون -مهما كانت الظروف- أن يتدخل الأجنبى فى شئون مصر أو يمس سيادتها بأية صورة، فالموت عندهم أشرف ألف مرة من أن يستعدوا الأجنبى على وطنهم.

ثالثا: كشفت التحقيقات التى أجريت فى أحداث العنف الأخيرة (فى ديروط وصنبو) عن أن الهدف منها هو ضرب استقرار مصر السياسى والاقتصادى ونظامها الاجتماعى، وما تتمتع به مصر من أمن وأمان، لتحقيق أهداف معينة معروفة للجميع، ولذلك من الخطأ الفادح أن توصف هذه الأحداث بأنها "فتنة طائفية"، والأصح أن يقال إنها "فتنة وطنية" كما قال بحق الأستاذ صلاح الدين حافظ فى مقال "الفتنة المستوردة" (الأهرام- ١٩٩٢/٧/٢٢).

ولعله من المفيد فى هذا الصدد أن أنقل مقتطفات من كلمتى التى ألقيتها أمام مجلس الشعب بجلسته الحادية بعد المائة من دور الانعقاد الثانى المنعقدة صباح يوم ١٥/٧/١٩٩٢ كما هى مسجلة بالمضبطة، إذ جاء بها: "... إن الواقع المعاش والطبيعة الجغرافية لوادى النيل المنبسط قد أديا إلى امتزاج واختلاط جميع أبناء مصر فى كل مكان، وتشكل من الشعب المصرى بمسلميه وأقباطه نسيج متين ومتداخل فريد فى نوعه، لا يمكن أن تخترقه أية أحداث عابرة. ويكفينى أن أقول إن الزعيم الهندى الراحل غاندى قد أبدى إعجابه الشديد بما عليه الشعب المصرى من وحدة وطنية، وتمنى أن تطبق التجربة المصرية على الشعب الهندى.

"لقد عاش المسلمون والأقباط منذ الفتح العربى وحتى اليوم كأسرة كبيرة واحدة يسودها الحب والإخاء والإخلاص فى كافة مناحى الحياة، ويبدو هذا الترابط بأجلى صوره فى الريف المصرى حيث تتعانق بيوت الأقباط مع بيوت المسلمين، ويشتركون فى معيشة واحدة فى السراء والضراء، مزجتهم وأصبح من المستحيل التفريق بينهم.

"إننى أتحدى أى شخص غريب يدخل الآن إلى قاعة هذا المجلس الموقر ويستطيع أن يميز من فينا المسلم ومن فينا المسيحى. إننا شعب واحد ومن أصل واحد ومن عنصر واحد، ومن الخطأ

الشائع أن نستخدم تعبير "عنصرى الأمة"، إذ لا يوجد سوى عنصر واحد يتكون منه كافة أبناء مصر. وقد لاحظ ذلك عميد الاستعمار البريطانى اللورد كرومر عندما كتب قائلا "إنه لا يوجد شيء على الإطلاق يميز بين المسلم والقبطى فى مصر، لا فى الشكل ولا فى الزى ولا فى العادات أو التقاليد أو أسلوب المعيشة، الشيء الوحيد الذى يميز بينهما هو أن المسلم يعبد الله فى المسجد والقبطى يعبد الله فى الكنيسة.

"لقد استخلصت من دراساتى وقراءاتى الشخصية أن الإسلام يرفض العنف، وأنه دين العدالة والمساواة والرحمة والمودة وحسن المعاملة للبشر جميعاً وخاصة أهل الكتاب منهم، بل إن الإسلام يأمر بالرحمة والشفقة على الحيوان، وكلنا نعرف قصة المرأة التى ألقيت فى جهنم لأنها عذبت هرة، والرجل الذى دخل الجنة لأنه أطفأ ظمأ كلب عطشان، إذا كان هذا هو موقف الإسلام بالنسبة للحيوان، فكيف بالأحرى يكون موقفه بالنسبة للإنسان؟!

"لقد أجاز الإسلام للرجل المسلم أن يتزوج من كتابية، وذهب الأمر من رقة وحساسية بعض الأئمة كالإمام الشافعى إلى القول بأنه لا يحق للزوج أن يعرض الإسلام على زوجته أو يفاتحها فى هذا الموضوع، وذلك درءاً لشبهة الإكراه فى الدين، فإذا كان بيت

الرجل المسلم يتسع لزوجة غير مسلمة ليعيشا معاً فى ألفة ومحبة تحت سقف واحد، ويبيح الإسلام هذا الزواج ويباركه، فكيف يضيق بعض المسلمين بوطن يضم أقلية من غيرا لمسلمين!!!

"فى رأيى أن هذا كله يعرفه الذين يرتكبون العنف، ويعرفون أكثر منه، وهذا ما يدعونى إلى الجزم بأن هذه الأحداث لا تشكل فتنة طائفية، وإنما هى تنفيذ لمخطط مقصود به ضرب مصر واستقرار مصر وإضعافها، لتحقيق أهداف معينة معلومة للجميع. وقد أكد ذلك الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة فى الملتقى الفكرى فى أسيوط منذ يومين إذ قال: إن أحداث العنف تستهدف النيل من استقرار مصر وما يسودها من أمن وأمان، وأن الأسلحة التى يستخدمها مرتكبو هذه الأحداث تصل عن طريق بعض الدول العربية والأجنبية، وأكد هذا المعنى أيضا الدكتور محمد على محجوب وزيرا لأوقاف.

"أعود وأذكر مرة أخرى أن أحداث العنف التى تقع هذه الأيام ليست فتنة طائفية، إنها موجهة إلى جميع المصريين، وهى ليست من طبيعة الشعب المصرى المسالم الودود الذى يكوّن نسيجاً متيناً متماسكاً على مر العصور. ومما هز مشاعرى بمناسبة الأحداث الأخيرة ما قرأته فى جميع الصحف من أن العائلات

المسلمة فى "صنبو" قد استضافت لديها بعض العائلات المسيحية الذين احترقت بيوتهم ريثما يتم إصلاح تلك البيوت.

"ولا يفوتنى فى هذا الصدد أن أحى الحكومة التى تؤدى واجبها على خير وجه، وتكفل لجميع المواطنين حماية أرواحهم وممتلكاتهم، ويقدم رجال الأمن فى سبيل ذلك تضحيات كبيرة، سواء باستشهاد بعضهم أو من خلال تكريسهم للوقت والجهد بعيدا عن أسرهم وعائلاتهم فى ظل ظروف بالغة الصعوبة..." [1].

وختاما أقول لتلك القلة من أقباط المهجر إن الشعب المصرى الواحد، بمسلميه وأقباطه، قد استطاع أن يتغلب على كافة محاولات الفرقة أو الفتنة على مدى تاريخه الطويل، وإذا كنتم فى شك من ذلك فاقرأوا تاريخ مصر، واستوعبوا دروسه جيداً، فهى كفيلة بأن تنبهكم إلى الخطأ الذى ارتكبتموه فى حق مصر والمصريين.

---

(١) تراجع مضبطة الجلسة السالفة الذكر - ص٢٨، ٢٩، ٣٠.

عند الدير المحرق
ابحثوا عن أيد أجنبية[1]

استنكر جميع المصريين مسلمين ومسيحيين العدوان البشع على دير المحرق بأسيوط، والذى أدى إلى مصرع خمسة وإصابة ثلاثة مواطنين...

والراجح عندى أن مرتكب الحادث لم يكن مدفوعا بأية بواعث دينية، لأن الإسلام يرفض ويستنكر تماما مثل هذه التصرفات، ويعتبر أن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة ٣٢).

والإسلام يبيح الدفاع عن أماكن العبادة لغير المسلمين، إذ جاء فى سورة الحج ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ فهذه الآية الكريمة تبيح الدفاع عن سائر أماكن العبادة لمنع هدمها وتخريبها، ذلك لأنها حرب فى سبيل الله، ودفاع عن حرية العقيدة، وعن أماكن يعبد فيها الله عز وجل.

---

(١) صحيفة الأخبار - ١/٤/١٩٩٤.

وقد حرص أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق على أن يوصى الجيوش المتجهة للقتال بعدم المساس بالرهبان الذين يتعبدون فى الأديرة، والالتزام بمبادئ الشرف والأمانة واحترام حقوق الإنسان، فقال: "... يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له..".

كذلك أوصى الفاروق عمر بن الخطاب جيوش المسلمين بقوله: "... لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات".

وفى ضوء هذه المبادئ السامية التى نادى بها الإسلام، واحترامه لحقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، وكفالة حرية العقيدة، والالتزام بالعدل والقسط حتى مع الأعداء، أعتقد أن حادث دير المحرق يعد مؤشرا يدعونا جميعا إلى البحث عن اليد الأجنبية التى تحاول اختراق الوحدة الوطنية وإحداث الفتنة الطائفية، لتحقيق أغراض وأطماع سياسية باسم الدين.



مذبحة الخليل
والمتطرفون الإسرائيليون[1]

فى اعتقادى أن مرتكب مذبحة المسجد الإبراهيمى فى الخليل -التى قتل فيها أكثر من ستين شخصا وهم سجود بين يدى الله فى صلاة الفجر- لم يكن شخصا مريضا نفسيا كما ذكر البعض، وإنما هو صهيونى ملتزم بالمفاهيم الدينية القديمة لبعض نصوص التوراة التى كانت تدعو إلى إبادة غير اليهود فى كل مكان يحل فيه اليهود، فهو إذن أحد المتطرفين اليهود الذين يفهمون نصوص التوراة - التى وردت فى شأن الحروب التى خاضها اليهود فى العهد القديم- على أنها صالحة للتطبيق فى هذه الأيام.

والذى يطلع على تاريخ اليهود كما روته أسفار العهد القديم يلمس بوضوح أن حروب اليهود قد تميزت بالضراوة والعنف والشراسة مثل قتل الرجال والنساء والأطفال والعجائز بل حتى الأبقار والغنم والحمير، وحرق المدن بعد نهب الفضة والذهب وأدوات الحديد والبرونز، كما فعلوا بمدينة "أريحا" حتى تكون عظة

---

(١) صحيفة الأهرام - ٢/٤/١٩٩٤.

لغيرها (سفر يشوع ٦: ١، ٢٤، ٨: ٢٤- ٢٩) وكذلك التنكيل بالأسرى ثم شنقهم فى الطرق العامة (صموئيل الثانى: ٤-١٢).

وظل طابع العنف والشراسة ملازما لليهود على مر الزمن، فارتكبوا العديد من صور التنكيل والبطش بأعدائهم، حتى أصبحت هذه الأفعال جزءا لا يتجزأ من عقيدتهم الدينية. ويكفينا أن نذكر فى هذا الصدد أن مذبحة "دير ياسين" التى اقترفتها عصابة "أرجون" سنة ١٩٤٨م ليست سوى صورة طبق الأصل لمذبحة "أريحا" على يدى "يشوع بن نون" منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة وعلى وجه التحديد فى سنة ١١٨٦ ق.م.

وهذا الطابع الشرس مازال ملازما لليهود المتعصبين الذين يعتقدون أن الله أو "يهوه" يقول لهم فى التوراة: "إن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها (سفر العدد ٣٣: ٥٥) وأنه يوصيهم أن يقتلوا بحد السيف كل من فى أرض الميعاد "من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير (سفر يشوع: ٦-٢١). ومما يدعو إلى الأسى والأسف أن تظل هذه العقيدة الخاطئة التى تدعو إلى القتل والتنكيل بغير اليهود ملازمة لأعداد كبيرة من اليهود فى كافة

أنحاء العالم. والجدير بالذكر ما رواه الدكتور مصطفى محمود فى مقاله "اللعب على المكشوف" بجريدة الأهرام فى ١٠/٣/١٩٩٤ من أنه تابع على شاشة التليفزيون حديثا لمذيع C.N.N فى إسرائيل توقف أمام شاب إسرائيلى يسأله عن رأيه فى مذبحة الخليل، فكان جوابه ببرود شديد: "نأسف لأن رجلنا لم يقتل عددا كافيا من المسلمين ولكنها بداية طيبة على أى حال" والمؤلم أن رأى هذا الشاب كان تعبيرا عن رأى عام لأحزاب وفئات وهيئات مختلفة فى إسرائيل لدرجة أن صورة السفاح باروخ جولد شتاين شوهدت معلقة على واجهات المحلات فى الخليل والضفة وإسرائيل باعتباره شهيدا قام بعمل يثاب عليه. ولا يسعنى فى هذا الصدد إلا أن أقارن بين ما يفعله هؤلاء المتطرفون امتثالا لمفاهيمهم الدينية الخاطئة، وبين وصية أبى بكر الصديق لأحد الجيوش المتوجهة للقتال، إذ جاء بها "... يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا، إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.." وكذلك ما أوصى به الفاروق عمر

ابن الخطاب بقوله: "... لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات". والمعنى المستفاد من هذه المقارنة من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تعليق.

وفى اعتقادى أن كافة الجهود المبذولة لتحقيق السلام بين الفلسطينيين واليهود، لن تؤتى ثمارها المرجوة إلا إذا تخلص اليهود المتعصبون من تلك المفاهيم الدينية الخاطئة التى تضمر العداء لغير اليهود وتدعو إلى إبادتهم.

أقول لمرتكبي حادث الكنيسة[1]

روع الشعب المصرى بمسلميه وأقباطه بالحادث الإرهابى فى كنيسة الفكرية (مركز أبو قرقاص) الذى راح ضحيته مجموعة من الأبرياء، وفى يقينى أن هذا الحادث الإجرامى له أهداف سياسية بالدرجة الأولى، فليس الهدف منه قتل بعض الأقباط، وإنما ضرب قوة التماسك القومى، والإرادة الوطنية، وعرقلة المسيرة الاقتصادية والحضارية التى يقوها الرئيس محمد حسنى مبارك. إن هذا الحادث لا يمكن أن يصدر من شخص يحب مصر أو حتى ينتمى إليها، وإنما هو -بالقطع- لمصلحة من يكيد لمصر ويؤذيه تقدمها وريادتها لشعوب المنطقة. ومع ذلك أجدنى مدفوعا دفعا لوضع الحقائق الآتية أمام مرتكبى هذا العدوان، فأقول لهم:

- إنكم قدمتم أعظم هدية على طبق من ذهب لأعداء الإسلام والمسلمين، ووضعتم فى أيديهم السلاح الذى يشنون به الهجوم الشرس على كل من ينتمى إلى الإسلام، رغم أن الإسلام برئ من هذا العدوان.

---

(١) صحيفة الأهرام - ١٩٩٧/٣/٥.

- ألم تقرأوا فى القرآن الكريم هذه الآيات البينات:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة -٣٢).

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة -٨).

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة- ٢٥٦).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس - ٩٩).

يعوزنى صفحات عديدة إذا حاولت إحصاء الآيات الكريمة التى تأمر بالرحمة والمساواة والعدل والقسط حتى مع الأعداء، ذلك أن أعظم ما يزهر به الإسلام هو احترامه لحقوق الإنسان، بل وتسجيله لها قبل أن تعرف الدنيا هذه الكلمات، وقبل أن يخطر على البال أن تصاغ فى قوانين أو مواثيق دولية.

- ألم تقرأوا فى تاريخ مصر أن الأقباط قد ساعدوا المسلمين على فتح مصر، ورحبوا بهم لإنقاذهم من الاضطهاد المذهبى الذى تعرضوا له على أيدى الرومان، وأن عمرو بن العاص هو الذى أعاد بطريرك الأقباط، البابا بنيامين، إلى كرسيه بعد أن ظل هاربا فى الصحراء لمدة اثنى عشر عاما، كما أعاد للأقباط كنائسهم التى اغتصبها الرومان، وخطب فى أول جمعة صلاها بجامعه بالفسطاط قائلا: "... استوصوا بمن جاوركم من القبط خيرا، فإن لكم فيهم ذمة وصهرا، فكفوا أيديكم، وعفوا، وغضوا أبصاركم".

ومنذ الفتح الإسلامى الذى أنقذ الأقباط من ظلم الرومان، استوعب الأقباط جيدا الدرس القاسى الذى تلقوه من الإمبراطورية الرومانية المسيحية، وأدركوا أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير بين أبناء مصر جميعا. وهذا ما يفسر لماذا حارب الأقباط فى صفوف المسلمين ضد جميع الغزاة من الصليبيين والفرنسيين والإنجليز والإسرائيليين وغيرهم. ومنذ الفتح الإسلامى لمصر، عاش المسلمون والأقباط كأسرة كبيرة واحدة يسودها الحب والوفاء والإخلاص فى كافة مناحى الحياة وذلك باستثناء بعض عهود الضعف والتدهور التى كان الظلم يقع فيها على المسلمين والأقباط معا. وقد لاحظ عميد الاستعمار البريطانى، اللورد كرومر، الاندماج التام بين المسلمين والأقباط

فكتب قائلا: "إنه لا يوجد شىء على الإطلاق يميز بين المسلم والقبطى فى مصر، لا فى الشكل، ولا فى الزى، ولا فى العادات أو التقاليد أو أسلوب المعيشة، الشىء الوحيد الذى يميز بينهما هو أن المسلم يعبد الله فى المسجد، والقبطى يعبد الله فى الكنيسة".

عندى كلام كثير أريد أن أقوله لهؤلاء الجناة لا يتسع له مقال سريع، ولكنى أود فى ختام حديثى، أن أوجه كلمة إلى أجهزة الإعلام فى الغرب والشرق، فأقول إنه من الظلم البين محاسبة الإسلام بتصرفات بعض المسلمين، فالعدالة تقضى بأن تقاس تصرفات المسلمين بموازين الإسلام، والعكس ليس صحيحا بأى حال، إذ لا ينبغى أن يحاكم الإسلام بما يصدر عن بعض المتطرفين المسلمين من تصرفات يرفضها الإسلام ويأمر بعكسها تماما. وفى الغرب نفسه يوجد العديد من المتطرفين والإرهابيين الذين ينتمون إلى المسيحية، ولم نسمع أحدا من أهل الغرب يحاكم الديانة المسيحية بتصرفات هؤلاء المسيحيين.

لذلك أناشد الإعلاميين فى الغرب والشرق أن يلتزموا بالعدالة وشرف الكلمة، وأن يتقوا الله فيما يقولون ويكتبون.

حول زيارة الإمام الأكبر لبريطانيا [١]

منذ أيام عاد بسلامة الله إلى أرض الوطن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، الدكتور محمد سيد طنطاوى، بعد زيارة ناجحة لبريطانيا استغرقت بضعة أيام، بدعوة من كبير أساقفة كانتربرى د. جورج كارى، التقى فيها مع الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا، وتونى بلير رئيس مجلس الوزراء. وقد تركت هذه الزيارة أطيب الأثر فى نفوس المسلمين والمسيحيين فى الشرق والغرب.

وبداية أود إن أقول إن كل من يعرف فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى يتفق معى فى أنه - بسماحته ودماثة خلقه، وهدوئه النفسى، وفهمه الصحيح للدين، وإيمانه الراسخ بالحق والعدل - يعتبر خير معبر عن الصورة الحقيقية للإسلام ومبادئه التى تدعو إلى الرحمة والمساواة والعدل بين البشر جميعا بغير تمييز بينهم.

وتأتى أهمية هذه الزيارة فى إطار الحوار بين الأديان، وفى أعقاب إذاعة بعض الأفكار المتطرفة التى تنادى بجعل غير

(١) صحيفة الأهرام - ٥/٦/١٩٩٧.

المسلمين فى مرتبة أدنى من المسلمين، لذلك بات من المفيد أن يقوم هذا العالم الجليل -وهو قمة علماء الدين فى مصر- بزيارة دول الغرب المسيحى، ليبين، بالدليل القاطع من القرآن والسنة، أن الإسلام قد أنزل لسعادة البشرية وليس لشقائها، ولإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الحق، ونور العدل، والكرامة الإنسانية، واحترام حقوق الإنسان، والمساواة بين الناس جميعا. وقد أكد فضيلته -كما يفعل دائما- أن الإسلام يرفض العنف والعدوان، ويدعو إلى الرحمة والشفقة، ليس بالإنسان فحسب، بل بالحيوان أيضا. وفى التراث الإسلامى قصة المرأة التى ألقيت فى جهنم لأنها عذبت هرة، والرجل الذى دخل الجنة لأنه أطفأ ظمأ كلب عطشان، فإذا كان هذا هو موقف الإسلام بالنسبة للحيوان، فكم يكون بالأحرى موقفه بالنسبة للإنسان. بل أكثر من ذلك فقد بلغ حرص الإسلام على الحياة البشرية أنه اعتبر **﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾** (المائدة: ٣٢). فهذه الآية الكريمة تنطوى على تصور بالغ القوة فى الدلالة على بشاعة جريمة قتل الإنسان ظلما بغير حق، فهى ليست عدوانا على الفرد فقط، ولا هى جريمة فى حق المجتمع كما تنص التشريعات الجنائية الوضعية، ولكنها شىء أكبر وأفدح، إنها عند الله سبحانه وتعالى عدوان على الجنس البشرى بأسره دون تفرقة

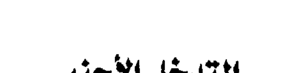
بين لون وجنس وملة (فهمى هويدى، مواطنون لاذميون، ط١، سنة ١٩٨٥، ص٨٢-٨٣).

كذلك كان من الضرورى أن يوضح فضيلة الإمام الأكبر فى خطبة الجمعة فى أكبر مساجد لندن يوم ١٩٩٧/٥/٢٣، أن من المبادئ المقررة فى الإسلام أنه "لا إكراه فى الدين" (البقرة: ٢٥٦) لأن الإكراه لا يصنع مؤمنين، كما أنه لا يحق للمسلم أن يحاسب غير المسلمين على معتقداتهم، وإنما الحساب على ذلك لله تعالى فى الآخرة، ولذلك فإن الإسلام يكفل لغير المسلمين حريتهم فى أداء شعائرهم الدينية.

كذلك حرص فضيلته فى هذه الزيارة على التركيز على مفهوم العدل فى الإسلام باعتباره قيمة مطلقة وليست نسبية، وأن الإسلام يأمر بالعدل والقسط مع جميع الناس حتى ولو كانوا أعداء، ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يساوى -فيما هو دنيوى- بين البشر جميعا بغض النظر عن جنسهم، أو لونهم أو دينهم أو أى اعتبار أخر، ويعتمد فى تعامله مع غير المسلمين على القاعدة الذهبية -التى ينسبها الكاسانى إلى حديث نبوى شريف- وهى "لهم مالنا وعليهم ما علينا" (الكاسانى، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، ج٧، ص١١١).

وبهذه المناسبة لا يفوتنى أن أشيد بالزيارة المهمة التى قام بها فضيلته فى مطلع عام ١٩٩٥ إلى أمريكا (وكان فضيلته فى ذلك الوقت يشغل منصب مفتى الجمهورية)، وكانت تلك الزيارة فى أعقاب ما عرضته شاشات التليفزيون الأمريكى للفيلم الذى أعده الصحفى اليهودى ستيفن أمرسون باسم "الجهاد فى أمريكا" وما تركه هذا الفيلم من انطباع سيئ فى نفوس الشعب الأمريكى بزعم أن أمريكا أصبحت هدفا للجهاد الإسلامى، وأن الشرارة الأولى لهذا "الجهاد" قد اندلعت يوم نسف مركز التجارة العالمى فى ١٩٩٣/١١/٢٣، وأن اللهب سيطول -حتما- غير المسلمين من اليهود والمسيحيين. فى هذا المناخ الردىء جاءت زيارة فضيلته إلى أمريكا، فكان لها أكبر الأثر فى تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وإزالة الانطباع السيئ الذى حاول فيلم "الجهاد فى أمريكا" أن يتركه فى أذهان الشعب الأمريكى.

إننى أحيى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى لقيامه بهذه الزيارات، وأدعو إلى الإكثار منها، كما أدعو جميع علماء الإسلام المستنيرين إلى الاقتداء بفضيلته فى هذا الشأن، لإصلاح ما أفسده بعض المسلمين الذين شوهوا صورة الإسلام فى عيون تلك الشعوب، بسوء كلامهم أو بسوء صنيعهم.



التدخل الأجنبى وشئون مصر الداخلية[1]

ليرفع لمجلس النواب للتصويت عليه فى نهاية أبريل المقبل (الأهرام - ١٥/٣/١٩٩٨ - ص٤). وأضاف الخبر أن عدداً من أعضاء التجمع القبطى فى أمريكا الذى يتزعمه شوقى كراس والاتحاد القبطى، أثاروا مزاعم حول اضطهاد المصريين الأقباط فى اجتماع اللجنة الاستشارية بالخارجية الأمريكية، ولكن مصادر الكونجرس، والإدارة الأمريكية أكدت أن هذه الجماعات لا تتمتع بمصداقية كبيرة.

والحقيقة أن الأقباط، وفى مقدمتهم رأس الكنيسة قداسة البابا شنودة الثالث، قد أعلنوا من الوهلة الأولى رفضهم القاطع

(١) صحيفة الأهرام -٢١/٣/١٩٩٨.

لأى تدخل فى شئونهم، لأن هذا التدخل يسىء إلى المصريين جميعاً وفى مقدمتهم الأقباط، وأصدرت مجموعة من الشخصيات القبطية بيانا بعنوان "بيان للأمة" أعلنوا فيه رفضهم القاطع لكل صور التدخل الأجنبى فى شئون مصر الداخلية، بدعوى الدفاع عن حقوق المصريين الأقباط، وكان لى شرف التوقيع على هذا البيان.

يرجع رفض الأقباط القاطع لأى تدخل أجنبى فى شئونهم، إلى أنهم أدركوا - منذ التقاء المسيحية والإسلام على أرض مصر- أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير للشعب الواحد الذى انصهر فى بوتقة واحدة، وتكونت منه سبيكة متينة على مر التاريخ، وهذا ما يفسر لماذا وقف الشعب المصرى - بمسلميه وأقباطه- صفاً واحداً يحارب جميع الغزاة من الصليبيين والفرنسيين والإنجليز والإسرائيليين وغيرهم.

طبيعة الأقباط:

إن أشد ما يغضب الأقباط ويؤذى مشاعرهم هو الحديث عنهم أو التعامل معهم كأقلية أو طائفة، وإنما يحلو لهم دائما التعامل معهم باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى كله، الذى يرجع إلى أصل واحد وعنصر واحد.

لقد تنبه المستعمر البريطانى منذ مطلع هذا القرن إلى أن أشد ما يؤذى شعور الأقباط هو التعامل معهم كطائفة، إذ نشرت صحيفة "التايمز" فى عددها الصادر بتاريخ ١٩١١/١/٢٦ برقية لوكالة "رويتر" صادرة من القاهرة تتحدث عن جولة المتابعة الشاملة التى قام بها المعتمد البريطانى سير الدون جورست، وكان نص البرقية" "زار سير الدون جورست الأقاليم التى يوجد فيها أقباط وحقق تماماً فى مسألة المظالم والشكاوى القبطية المزعومة، ولكنه اكتشف أنه لا يوجد خارج القاهرة أية شكاوى ذات بال، وأعلن أن المسلمين والأقباط يعيشون معاً بهدوء واطمئنان بصفة عامة إذا ما تركوا وشأنهم، وأن أسوأ خدمة يمكن أن نقدمها - يعنى الإنجليز- للأقباط هى أن تكون معاملتهم كجماعة أو طائفة منفصلة" (يراجع: د. مصطفى الفقى. الأقباط فى السياسة المصرية- دار الشروق- ط١ - سنة ١٩٨٥ - ص٣٨).

ثلاث وقائع من التاريخ الحديث :

يهمنى أن أشير - بإيجاز - إلى ثلاث وقائع من التاريخ الحديث تؤكد كيف يغضب الأقباط من التدخل الأجنبى فى شئونهم أو وصفهم بأنهم طائفة أو فئة معينة تختلف عن سائر الشعب المصرى .

الواقعة الأولى: تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢:

أعلن الإنجليز فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ تحفظاتهم الأربعة، ومنها أن بقاءهم فى مصر لحماية الأقليات، فكان لهذا التصريح أسوأ الأثر فى نفوس الأقباط، فثاروا عليه وأسقطوه ووقف القمص سرجيوس فى ساحة الأزهر الشريف وقال عبارته المدوية: إذا كان الإنجليز يتعللون ببقائهم فى مصر لحماية الأقباط، فليمت الأقباط وليحيا المسلمون أحراراً فى بلادهم (طارق البشرى - المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية - سنة ١٩٨٠- ص١٣٦).

ولذلك فإن المحاولات الأخيرة التى تقودها قلة من أقباط المهجر لدفع الكونجرس الأمريكى للتدخل فى شئون الأقباط، قد أصابت المصريين جميعا -أقباطاً ومسلمين- بالأسى العميق، لما تنطوى عليه من الإساءة إلى مصر كلها، وإلى التاريخ الوطنى للأقباط، فما رفضه الأقباط سنة ١٩٢٢ لا يمكن أن يقبلوه وهم يستشرفون القرن الحادى والعشرين.

الواقعة الثانية: رفض التمثيل النسبى فى البرلمان:

أثناء مناقشات اللجنة العامة المشكلة لوضع دستور سنة ١٩٢٣، طالب بعض الأعضاء المسلمين بالنص فى الدستور على التمثيل النسبى للأقباط فى البرلمان، ولكن معظم الأعضاء الأقباط فى اللجنة قد رفضوا هذا الاقتراح بحجة أن فكرة تمثيل الأقباط هادمة للوحدة الوطنية وموجبة للتفرقة بين أبناء الشعب (نشر الأهرام الاقتصادى -العدد ٩٥٣ فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٨٧ هذه المناقشات بالتفصيل- فى الموضوع القيم الذى أعده الأستاذ الدكتور أحمد ماهر بعنوان "الفتنة الطائفية بين الأمن القومى وأمن المجتمع"). كذلك عقد اجتماع كبير فى الكنيسة البطرسية يوم الجمعة ١٩ مايو سنة ١٩٢٢ ضم جميع فئات الأقباط وقرروا بالإجماع رفض الاقتراح وأعلنوا تضامن الأقباط مع المسلمين فى وحدة لا تعرف الطائفية، وأرسلوا برقيات بذلك إلى جميع المسئولين فى الدولة (رمزى ميخائيل جيد - الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ - سنة ١٩٨٠ - ص٦٨).

الواقعة الثالثة: مقاطعة مؤتمر الأقليات سنة ١٩٩٤:

عندما دعا البعض إلى عقد مؤتمر فى القاهرة باسم "مؤتمر الإعلان العالمى لحقوق الملل والنحل والأعراق فى الوطن العربى

والشرق الأوسط" ووضعوا الأقباط جنباً إلى جنب مع الأكراد فى العراق، والبربر فى المغرب العربى، والدروز فى إسرائيل، والأرمن فى لبنان، ثار على هذا المؤتمر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، ونشر مقالاً رائعاً بصحيفة "الأهرام" يوم الجمعة ٢٢/٤/١٩٩٤ بعنوان "أقباط مصر ليسوا أقلية، وإنما جزء من الكتلة الإنسانية الحضارية للشعب المصرى". كذلك كتب الأستاذ الكبير إبراهيم نافع مقالاً بصحيفة "الأهرام" يوم ٧/٥/١٩٩٤ بعنوان "مؤتمر الأقليات ونمور البحوث المشبوهة" يهاجم فيه هذا المؤتمر. كما صرح مصدر مسئول للمكتب الإعلامى بالمقر البابوى أن قداسة البابا شنودة الثالث أعلن باسم الأقباط: نحن مصريون، جزء من شعب مصر، ولسنا أقلية فى مصر، ولا أحب أن نعتبر أنفسنا أقلية، ولا أن يسمينا البعض أقلية، فكل من عبارة أغلبية وأقلية إنما تدل فى أسلوبها على التفرقة والتمييز أو التمايز بالنسبة إلى البعض، وهذا لا يليق بالنسبة لأبناء الوطن الواحد، وبخاصة فى مصر المحبوبة (صحيفة الأهالى - ٢٧/٤/١٩٩٤).

وختاما أقول للذين يحاولون استعداء الأجنبى للتدخل فى شئون الأقباط فى مصر: ارفعوا أيديكم عن الأقباط .. وأقرأوا تاريخ مصر ... واستوعبوا دروسه جيداً وعندئذ ستدركون مدى الخطأ الفادح الذى ارتكبتموه فى حق مصر والمصريين.



بيان عاجل
أمام مجلس الشعب[1]

سيادة الرئيس، طالعتنا الصحف ووكالات الأنباء أن لجنة العلاقات الدولية فى مجلس النواب الأمريكى ستنظر يوم ٢٥ من مارس الجارى، أى بعد غد، مشروع القانون الخاص بالاضطهاد الدينى، حيث من المنتظر الموافقة عليه ليرفع لمجلس النواب للتصويت عليه فى نهاية أبريل المقبل، هذا ما ذكرته وكالات الأنباء، وأضاف الخبر أن عددا من أعضاء التجمع القبطى فى أمريكا الذى يتزعمه شوقى كراس والاتحاد القبطى أثاروا مزاعم حول اضطهاد المصريين الأقباط فى اجتماع اللجنة الاستشارية بالخارجية الأمريكية، لكن مصادر الكونجرس والإدارة الأمريكية أكدت أن هذه الجماعات لا تتمتع بمصداقية كبيرة. وقبل أن أدلى بهذا البيان العاجل للسيد وزير الخارجية أود أن أعلن على الملأ أننى أتحدث تحت هذه القبة ليس بصفتى ممثلا للأقباط وإنما بصفتى ممثلا للشعب المصرى كله مسلميه

---

(١) مضبطة الجلسة الرابعة والخمسين من دور الانعقاد العادى الثالث من الفصل التشريعى السابع - صباح يوم الاثنين ٢٣/٣/١٩٩٨.

وأقباطه (تصفيق) فالشعب المصرى منذ الفتح العربى الإسلامى عاش فى وحدة يسودها الحب والوفاء والإخلاص فى كافة مناحى الحياة وذلك باستثناء بعض عهود الضعف والتدهور التى كان الظلم فيها يقع على المسلمين والأقباط معا، لقد أدرك الأقباط منذ الفتح العربى الإسلامى أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير لأبناء الوطن الواحد، ويرجع ذلك إلى أن العرب المسلمين هم الذين أنقذوا الأقباط من الاضطهاد الذى شنته عليهم الإمبراطورية الرومانية المسيحية بسبب الخلاف المذهبى حول الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد المسيح، مما دعا بطريرك الأقباط فى ذلك الوقت البابا بنيامين إلى الهرب فى الصحراء لمدة اثنتى عشرة سنة إلى أن أعاده إلى كرسيه عمرو بن العاص، ويقول المؤرخون: وقرب عمرو إليه البطريرك بنيامين حتى لقد أصبح من أعز أصدقائه عليه، هذه الوحدة بين المصريين التى لا تعرف التفرقة الدينية فى المعاملات الدنيوية هى التى تفسر لماذا وقف الشعب المصرى بمسلميه وأقباطه صفا واحدا على مر التاريخ يحارب جميع الغزاة من الصليبيين والفرنسيين والإنجليز والإسرائيليين وغيرهم.

سيدى الرئيس السادة الأعضاء، إن أشد ما يغضب الأقباط ويؤذى مشاعرهم هو التدخل الأجنبى فى شئونهم والحديث عنهم أو التعامل معهم كأقلية أو طائفة، وإنما يسعدهم دائماً التعامل

معهم باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى كله الذى انصهر فى بوتقة واحدة وتكونت منه سبيكة متينة على مر التاريخ، وإذا كانت هناك بعض المطالب أو المشاكل للأقباط فينبغى طـرحها فى إطار الوحدة الوطنية وليس عن طريق التدخل الأجنبى.

لقد رفض الأقباط تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى أعلن فيه الإنجليز أن بقاءهم فى مصر من أجل حماية الأقليات، فثار الأقباط ضد هذا التصريح وأسقطوه ووقف القمص سرجيوس فى ساحة الأزهر الشريف وأعلن عبارته المدوية: إذا كان الإنجليز يتعللون ببقائهم فى مصر من أجل الأقباط فليمت الأقباط وليحيا المسلمون أحرارا فى بلادهم (تصفيق).

إن ما رفضه الأقباط فى سنة ١٩٢٢ لا يعقل إن يقبلوه وهم يستشرفون القرن الحادى والعشرين، وليس بعيدا عن الأذهان مؤتمر الأقليات الذى دعا البعض إلى عقده فى القاهرة ووضعوا الأقباط جنبا إلى جنب مع الأكراد فى العراق والبربر فى المغرب والدروز فى إسرائيل والأرمن فى لبنان، فثار الأقباط ضد هذا المؤتمر وأعلنوا أنهم ليسوا أقلية وإنما هم جزء من الكتلة الإنسانية الحضارية للشعب المصرى وأصدر رأس الكنيسة البابا شنودة الثالث بيانا قال فيه نحن مصريون، جزء من شعب مصر

ولسنا أقلية فى مصر ولا أحب أن نعتبر أنفسنا أقلية ولا أن يسمينا البعض أقلية، وإزاء هذه المقاطعة الشديدة اضطر الداعون لهذا المؤتمر إلى عقده خارج مصر.

سيدى الرئيس السادة الأعضاء، إن ما يشيعه أعداء مصر فى الخارج من أن الأقباط يتعرضون للعدوان على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم مردود عليه بأن الإرهابيين الذين ارتكبوا بعض الحوادث المتفرقة فى هذا الصدد قد أعلنوا أن أى عدوان على الأقباط ليس مقصودا لذاته وإنما لإحراج الحكومة وإحداث الاضطرابات الداخلية تمهيداً للاستيلاء على الحكم، وفى اعتقادى -سيدى الرئيس- أن الإسلام الصحيح والإرهاب لا يجتمعان أبدا، وهذا ما يدعونى إلى القول بأن الإرهاب يرجع إلى أسباب غير دينية، ولعلنا نذكر أن الإرهاب قد هاجم مسجدا فى الصعيد وقتل عددا من المسلمين أثناء الصلاة، وهذا دليل على أن الإرهاب مؤامرة موجهة ضد المجتمع دون تفرقة.

إن عدد ضحايا الإرهاب من الشرطة أكثر من ضحاياهم من المواطنين، وضحاياهم من المسلمين أضعاف عدد ضحاياهم من الأقباط، ولذلك فإنى أنزه الإسلام عن أن تنسب إليه هذه الجرائم التى لا تجد سندا لها من دين أو أخلاق.

سيدى الرئيس السادة الأعضاء، إن ما يروجه بعض أقباط المهجر فى الخارج من أن الأقباط محرومون من تقلد الوظائف العليا فى الدولة يكفى للرد عليه أن أقول إننى شخصيا تبوأت أعلى المناصب القضائية ولم تكن ديانتى المسيحية حائلا دون وصولى إلى هذا المنصب الرفيع.

إن بعض الحوادث المؤسفة التى وقعت فى السنين الأخيرة دفعتنى إلى دراسة الإسلام دراسة متعمقة لأعرف موقفه من أحداث العنف وكيفية التعامل مع المختلفين فى الدين، وخرجت من هذه الدراسة إلى أن الإسلام هو دين العدالة والرحمة والمساواة الكاملة بين البشر جميعا بغض النظر عن لونهم أو جنسهم أو عقيدتهم، وأن الإسلام يرفع شعار القاعدة الذهبية التى تقول: لهم مالنا وعليهم ما علينا. وقد وضعت كتابا بعنوان "معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى" وحصلت به على جائزة وقف الفنجرى وكان رئيس لجنة تقييم البحوث هو فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى، كما تفضل السيد رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك رائد وراعى الوحدة الوطنية بمنحى وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى احتفالات المولد النبوى الشريف فى ٢٠ من أغسطس سنة ١٩٩٤، كذلك صدر لى كتاب أخير عن "النموذج المصرى للوحدة الوطنية"- لن أتحدث

عنه حتى لا يقول السيد/ كمال الشاذلى وزير الدولة لشئون مجلسى الشعب والشورى أن هذه دعاية -إن الوحدة الوطنية- سيدى الرئيس- ممتدة الجذور منذ التقاء الإسلام والمسيحية على أرض مصر وعاش الأقباط والمسلمون فى وحدة أصيلة متأصلة لا تعرف أى لون من ألوان التفرقة.

سيدى الرئيس، المساواة التامة بين المواطنين مكفولة بنص الدستور، ولقد قلت تحت هذه القبة بجلسة ١٥/٧/١٩٩٢ إننى أتحدى أى شخص غريب يدخل الآن إلى قاعة هذا المجلس الموقر ويستطيع أن يميز من فينا المسلم ومن فينا المسيحى، فنحن شعب واحد ومن أصل واحد ومن عنصر واحد، ومن الخطأ الشائع أن نستخدم تعبير عنصرى الأمة إذ لا يوجد سوى عنصر واحد يتكون منه كافة أبناء مصر.

وختاما سيدى الرئيس، السادة الأعضاء أقول لمن يستعدون الأجنبى للتدخل فى شئون الأقباط أنتم تطعنون الأقباط فى الصميم، وتطعنون وطنية الأقباط فى الصميم وتفعلون ما فعله الدب الذى قتل صاحبه، ارفعوا أيديكم عن الأقباط، فهم يرفضون الوصاية عليهم أو التحدث باسمهم، وإن كنتم فى شك من ذلك فاقرأوا تاريخ مصر، اقرأوا تاريخ مصر واستوعبوا دروسه جيدا

وعندئذ ستدركون مدى الخطأ الفادح الذى ارتكبتموه فى حق الأقباط، وشكرا سيدى الرئيس. (تصفيق)

ملحوظة:

اهتمت أجهزة الإعلام فى مصر والخارج بهذا البيان العاجل، وتصدر نشرات الأخبار فى الإذاعة والتليفزيون، ونشرت صحيفة الأهرام (١٩٩٨/٣/٢٤) مقتطفات منه تحت عنوان "المسلمون والأقباط فى مصر نسيج واحد. الإرهاب لا يفرق بين المسلم والمسيحى". كذلك نشرت صحيفة الأخبار (١٩٩٨/٣/٢٤) فقرات منه تحت عنوان "شهادة حق من نائب مسيحى أمام مجلس الشعب. أقباط مصر يرفضون التدخل الأجنبى فى شئونهم. الإسلام دين العدالة -والوحدة الوطنية لا تعرف التفرقة الدينية". وأشارت صحيفة الجمهورية (١٩٩٨/٣/٢٤) إلى قولى إننا نرفض نغمة اضطهاد الأقباط ... وقد توليت أعلى المناصب. أما صحيفة الوفد (١٩٩٨/٣/٢٤) فقد نشرت هذا البيان العاجل فى صدر الصفحة الأولى بعنوان "نائب قبطى يوجه رسالة شديدة اللهجة إلى أقباط أمريكا والكونجرس. ارفعوا أيديكم عن أقباط مصر ولا تتحدثوا باسمهم. أقرأوا التاريخ لتعلموا الخطأ الفادح الذى ترتكبونه فى حق الأقباط. العرب المسلمون أنقذوا الأقباط من



اضطهاد الإمبراطورية الرومانية المسيحية. أقباط مصر لن يقبلوا ما رفضوه منذ أكثر من ٧٥ عاماً.

وقد أشاد بهذا البيان العاجل كبار الكتاب في مصر، منهم الأستاذ سمير رجب (الجمهورية ١٩٩٨/٣/٢٦) والأستاذ جمال بدوي (الوفد ١٩٩٨/٣/٢٦)، والأستاذ محمد صيفي (السياسي المصري ١٩٩٨/٣/٢٩) وغيرهم.

أحد رواد الوحدة الوطنية[1]

انتابنى الأسى العميق لسماعى خبر وفاة فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى، فأنا واحد من الملايين الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر حديثه التليفزيونى كل يوم جمعة، وكنت ألمس فى تلك الأحاديث -التى تتصف بالسهل الممتنع- الفكر المستنير والسماحة، والدعوة إلى المودة والمحبة بين المسلمين وغيرهم، فكثيرا ما كان يردد فى أحاديثه ويومياته أن الإسلام هو أول من دعا إلى الوحدة الوطنية، وذلك من خلال أول وثيقة حررها النبى صلى الله عليه وسلم عندما هاجر من مكة إلى المدينة، والتى عرفت باسم "صحيفة المدينة" فقد نصت على أن المسلمين واليهود "أمة واحدة"، وكان فضيلته -رحمه الله- يطالب دائما الهيئة العامة للكتاب بأن تطبع صحيفة المدينة وتوزعها بأسعار زهيدة لتكون فى متناول الجميع، ليعرف العالم ما يحمله الإسلام من فكر متقدم فى حقوق الإنسان، وحقوق المواطنة، وحرية التدين (يراجع على سبيل المثال: يوميات الأخبار ٩/٧/١٩٩٣و١٦/ ٧/ ١٩٩٣).

---

(١) صحيفة الأهرام - ١٩/٦/١٩٩٨ - وكذلك الأهرام الدولى فى ذات اليوم.

كذلك لا يفوتنى أن أذكر تلك الزيارة التاريخية التى قام بها فضيلته -رحمه الله- لقداسة البابا شنوده الثالث بالمقر البابوى يوم الخميس ١٣/١/١٩٩٤ لتقديم الشكر لقداسة البابا للسؤال عنه فى أثناء مرضه فى لندن، فقد أدلى بالتصريح الآتى: "...أن مساحة الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين واسعة، ويمكن أن نعمل جميعاً من خلالها، غايتنا رفعة مصر، وتقدم شعبها، ووحدة أبنائها" وقدم هدية لقداسة البابا عبارة عن عباءة من الصوف (جميع الصحف الصباحية الصادرة يوم الجمعة ١٤/١/١٩٩٤).

إن خسارة العالم الإسلامى بفقد هذا الإمام، فادحة، لأنه كان يدعو دائماً إلى الفهم الصحيح لأحكام وتعاليم الدين، ويهاجم بعنف أولئك الذين يسيئون إلى الإسلام بسوء كلامهم أو بسوء صنيعهم.

أسأل الله تعالى أن يتغمد هذا الفقيد بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، ويعوض الأمة الإسلامية عنه خيراً.

محاربة التعصب الدينى[1]

شكل الفاتيكان والأزهر لجنة إسلامية - مسيحية، للمرة الأولى فى التاريخ، فى إطار اتفاق وقعه فى الفاتيكان الكاردينال النيجيرى فرانسيس أورينزى، والشيخ فوزى الزفزاف، رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية فى الأزهر (صحيفة الأهرام - ٢٩/٥/١٩٩٨).

إن الهدف من تشكيل هذه اللجنة هو محاربة التعصب الدينى باعتباره تعبيرا عن رفض الآخر، ومصدراً للحقد والعنف والإرهاب. وقد تعهد الطرفان بالسهر على أن تلعب الأديان دورها فى المجتمعات الإنسانية لإرساء الأخوة والتضامن والتعاون والعدل والسلام، وحل المشاكل المتصلة بخير البشرية جمعاء".

وقد أعرب الفاتيكان والأزهر عن رغبتهما فى تعزيز العلاقات بينهما، وتشجيع الحوار لمحاربة الافتراءات والمزاعم الخاطئة فى حق الأديان، وذلك من خلال عقد اجتماعات فى كل من القاهرة وروما.

---

(١) الأهرام الدولى - ٢٦/٦/١٩٩٨.



وقد ترك هذا الاتفاق أطيب الأثر فى الأوساط الدينية الإسلامية والمسيحية، لأن هذه اللجنة المختلطة ستسهم -بلا شك- فى دعم أواصر الوشيجة الإيمانية بين أصحاب هاتين الديانتين.

كما أن التعاون البناء -من خلال المساحة المشتركة بينهما- سيؤدى إلى مكافحة موجة الإلحاد التى بدأت تغزو العالم. وقد أعاد هذا الاتفاق إلى ذاكرتى تلك الزيارة التاريخية التى قام بها الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لقداسة البابا شنودة الثالث بالمقر البابوى فى يناير ١٩٩٤ بمناسبة تقديم الشكر لقداسة البابا للعناية به والسؤال عنه أثناء مرضه فى لندن، فقد صرح فضيلة الشيخ الشعراوى بقوله: "إن هذا اللقاء تأخر كثيرا، وكان يجب أن يكون قبل هذا اليوم.. إن مساحة الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين واسعة، ويمكن أن نعمل جميعا من خلالها، غايتنا رفعة مصر، وتقدم شعبها، ووحدة أبنائها". وأشير هنا إلى الحديث المهم الذى أدلى به قداسة البابا شنودة الثالث إلى الكاتب الكبير الأستاذ رجب البنا، إذا قال "إن اليهود ينكرون أن المسيح جاء، ومازالوا حتى الآن ينتظرون قدوم المسيح ليكون زعيما سياسيا وعسكريا يعيد إليهم ملك داود وسليمان. أما الإسلام فإنه يقر بوضوح أن

المسيح جاء، وأنه ولد من العذراء مريم. والإسلام يؤمن بمعجزات السيد المسيح ويذكرها القرآن، والإسلام يسمى المسيحيين (أهل الكتاب) وفى ذلك اعتراف واحترام لهم، أما اليهود فينكرون الأديان الأخرى. والإسلام يضع السيدة العذراء فى مكانة عالية "يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين" ولذلك فإن التقارب بين الإسلام والمسيحية شديد.. إننى أعلم جيدا سماحة الإسلام، واستشهد بآية فى القرآن توصى المسلمين بمحبة المسيحيين: "ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون" (المائدة - ٨٢). واستشهد أيضا بالحديث الشريف: "استوصوا بالقبط خيرا فإن لكم فيهم نسبا ورحما".

وكذلك ينبغى أن أذكر الزيارة التى قام بها الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا لمصر، ولقاءه بفضيلة مفتى الجمهورية الدكتور محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر الآن) فقد أكد الأمير على أن الإسلام والمسيحية يشتركان فى النظرة الوحدانية والإيمان بالله الواحد وأن الحياة الدنيا فانية، والمسئولية عن أعمالنا فى الآخرة.



شعب مصر ... عنصر واحد[1]

من الخطأ الشائع استعمال تعبير "عنصرى الأمة" للإشارة إلى شعب مصر من مسلمين وأقباط، فهم فى الواقع عنصر واحد، إذ لا يستطيع أى عالم من علماء الانتروبولجى أن يحدد خواص بعينها يختلف فيها المصرى المسيحى عن المصرى المسلم، فكلاهما يحمل نفس الشكل والمظهر والعادات واللغة والتكوين النفسى.

إن الواقع المعاش والطبيعة الجغرافية لوادى النيل المنبسط قد أديا إلى امتزاج واختلاط جميع أبناء مصر فى كل مكان، وتشكل من الشعب المصرى بمسلميه وأقباطه نسيج متين متداخل فريد من نوعه، لا يمكن أن تخترقه أية أحداث عابرة. ويكفينى أن أقول أن الزعيم الهندى الراحل غاندى قد أبدى إعجابه الشديد بما عليه الشعب المصرى من وحدة وطنية، وتمنى أن تطبق التجربة المصرية على الشعب الهندى.

لقد عاش المسلمون والأقباط منذ الفتح العربى وحتى اليوم كأسرة كبيرة واحدة يسودها الحب والوفاء والإخلاص فى كافة

---

(١) الأهرام الدولى - ١٩٩٨/٧/٣١.

مناحى الحياة. يبدو هذا الترابط بأجلى صوره فى الريف المصرى حيث تتعانق بيوت الأقباط مع بيوت المسلمين، ويشتركون فى معيشة واحدة فى السراء والضراء، مزجتهم وأصبح من المستحيل التفريق بينهم.

وفى هذا الصدد كتب الدكتور محمد سليم العوا: "تشيع على ألسنة المتحدثين وأقلام الكاتبين -كلما ذكر أمر المسلمين فى علاقاتهم بإخوانهم الأقباط- عبارة "عنصرى الأمة" وهى عبارة خاطئة وموهمة لأن المصريين فى حقيقة الأمر عنصر واحد من وجهة نظر علم الأجناس، وهو عنصر يمثل خلاصة اختلاط مستمر وتزاوج دائم بين سكان الوادى الأصليين ومن وفدوا إليه واستوطنوه من مختلف شعوب العالم. وقد أصبح هذا الاختلاط امتزاجا وانصهارا حتى أنه من المحال التفريق فى أبناء مصر بين أصل وأصل أو فرع وفرع.

وكتبت الدكتورة ليلى تكلا ... ليس بين الاثنين -الأقباط والمسلمين- فروق فى الأصل والجنس والعرق والشكل. الاثنان يكملان بعضهما بعضا ويتكاملان فى تاريخ وتراث ونسيج هذه الأمة الذى هو نسيج واحد، خيوطه متداخلة متشابكة من الصعب التفرقة بينهما ومن المستحيل فصلهما، وأى نزاع بينهما لا يمكن أن ينجم عنه إلا تفكك خيوط ذلك النسيج وتمزق المجتمع، وأى

شقاق بينهما هو تمزيق لثوب مصر وتعرية لها وإهدار لكرامتها، فأفراد ذلك المجتمع شعب واحد، كلهم مصريون قبل كل شيء وانتماؤهم لمصر راسخ، وولاؤهم لها كان وسيظل عميقا، وعليهم أن يتصدوا معا لأى محاولة لإثارة الفرقة وتمزيق هذا النسيج الذى يكونانه ويتكونان فيه.

ويقول الأديب الكبير نجيب محفوظ فى حواراته مع الأستاذ محمد سلماوى "... الحقيقة أن مصر ليس بها عنصران، فنحن عنصر واحد، نحن جميعا من نسل الأقباط لكن بعضنا دخل الدين الإسلامى، والبعض ظل على دينه المسيحى وكثيرا ما كان يتزاوج هؤلاء من هؤلاء، وكنا فى جيلى نسمى أنفسنا جميعا أقباطا وطنا ومسلمين أو مسيحيين دينا".

وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية لمصر على وحدة شعبها وتداخل جميع أبنائها فى نسيج واحد، فوادى النيل المنبسط لا يفصل بينه جبال ولا وهاد، والصحارى الواسعة حول الوادى كانت عازلا يجعل شعبها ينظر إلى الداخل لا إلى الخارج، ويتصل بنفسه أكثر مما يتصل بسواه، كما أن ارتباط الحياة كلها فى مصر كانت متصلة بمصدر واحد هو نهر النيل، فكان على كل سكان مصر أن يتعاونوا ويتفاهموا لا أن يتخاصموا ويتنابذوا، كما أن السهل المنبسط لم يعط مجالا عبر التاريخ لأن تتشكل هنا أو هناك مجموعات متباينة، أو تتحصن هنا أو هناك أقلية أو أغلبية فلا

توجد فى مصر كما فى بلاد عربية كثيرة مناطق سنيَّة ومناطق شيعية، أو مناطق مسلمة ومناطق مسيحية.

للشعب المصرى -بمسلميه وأقباطه- نفس الخصائص والسمات الحضارية، فهو شعب يتسم بالطيبة، والبساطة، والبعد عن العنف، ويتحمل الصعاب بصبر وجلد.

لقد تشكلت فى مصر الشخصية القومية للمصرى فى إطار مكوناتها أنه: متسامح، ودود، هادئ، لديه تجانس طبيعى مع البيئة، وتجانس بشرى مع الأفراد، متدين، ينبذ العنف والتطرف ويلفظه.

ولأن الشعب المصرى -بمسلميه وأقباطه- شعب واحد، فالملاحظ أن الأقباط ينتشرون فى كل مكان فى مصر، ويعيشون جنبا إلى جنب مع أشقائهم المسلمين فى كل المدن والقرى والكفور والنجوع، فلا يمكن النظر إليهم على أنهم تجمع فى موقع جغرافى معين، مثل الأكراد فى العراق، أو الأرمن فى تركيا، أو التركستان فى إيران. كذلك لم يفكر الأقباط فى يوم من الأيام أن يكون لهم تجمعات فى أماكن أو أحياء معينة (جيتو) كما فعل اليهود.

ويقوم الأقباط بكافة الأعمال والحرف والمهن التى يقوم بها أشقاؤهم المسلمون، ولم يقتصروا على احتراف أعمال أو مهن معينة، كما فعل اليهود فى أمريكا وغيرها بالنسبة للإعلام أو التجارة.



مصر هى الهدف [1]

أصبح معلوما لدى الجميع -فى مصر والخارج- أن الضجة المفتعلة التى أثارتها أجهزة الإعلام الغربية، بشأن ما زعمته عن وجود اضطهاد للأقباط فى مصر،لم تكن حبا فى الأقباط ودفاعا عن مصالحهم، ولا من أجل محاربة ما يسمى بالاضطهاد الدينى للأقليات فى العالم، الذى من أجله أصدر الكونجرس الأمريكى قانونه المشبوه، ووافق عليه الرئيس كلينتون فى ٢٧/١٠/ ١٩٩٨، وإنما كان الهدف منها هو النيل من مصر كلها -بمسلميها وأقباطها- ومحاولة وضع العقبات أمام مسيرتها الدءوب نحو التنمية، وتحرير اقتصادها، وتجديد البنية التحتية، والدخول فى مشروعات عملاقة كان مستحيلا الإقدام عليها عندما كانت مصر غارقة فى الديون فى ظل النظام الشمولى الذى وضعها على شفا الإفلاس.

الهدف هو إضعاف مصر وضرب مسيرتها التقدمية والحضارية بقيادة الزعيم محمد حسنى مبارك، وجعلها مهيضة

---

(١) صحيفة الأهرام - ٢١/١١/١٩٩٨.

الجناح، لا تقوى على التحليق فى أفاق التقدم العلمى والاقتصادى والاجتماعى وبالتالى تتلقى الأوامر من القطب الأوحد فى العالم، الذى يحاول -بالقوة والمال- أن يفرض إرادته على الشعوب.

الهدف هو ضرب مصر من الداخل وإشعال مشكلة الفتنة الطائفية بين أبناء الشعب الواحد، الذى يتساوى جميع مواطنيه بنص الدستور فى الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة (مادة ٤٠) كما جعل الدستور الحفاظ على الوحدة الوطنية واجبا على كل مواطن (مادة ٦٠).

الهدف هو معاقبة مصر بسبب مساندتها للشعب الفلسطينى المظلوم، الذى يرزح تحت وطأة الممارسات الإسرائيلية العدوانية والتوسعية. والجدير بالذكر أن المراقبين السياسيين قد لاحظوا الربط المتكرر بين مزاعم اضطهاد الأقباط فى مصر، وموقف القيادة المصرية بزعامة الرئيس محمد حسنى مبارك، المناصر للقضية الفلسطينية.

إن أقباط مصر يعلمون علم اليقين أن تلك الحملة الإعلامية مفتعلة وكاذبة وأن القلة القليلة من أقباط المهجر أصبحت -للأسف الشديد- دمية فى أيدى المنظمات الصهيونية،

لدرجة أنها رتبت لها لقاءات علنية مع رئيس الوزراء الإسرائيلى نيتانياهو فى واشنطن ونيويورك، كما تمولها وتنفق عليها بسخاء، وليس أدل على ذلك من تلك الإعلانات المشبوهة فى كبريات الصحف الأمـريكية التـى تتكلف مئات الألوف من الدولارات.

إن القلة القليلة من أقباط المهجر، ومن يساندونهم من أعداء مصر، يعلمون علم اليقين أن أشد ما يغضب الأقباط ويؤذى مشاعرهم هو التدخل الأجنبى فى شئونهم، وأن ما رفضوه فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ المتعلق بوضعهم تحت الحماية البريطانيـة لا يعقـل أن يقبلوه وهـم يستشرفـون القـرن الحـادى والعشرين.

إن أقباط مصر غير غافلين عن المؤامرة التى تحاك ضد وطنهم، بقصد إضعاف دور مصر القيادى فى المنطقة، ولذلك أصبحوا يقابلون مثل هذه الحملات المسعورة بعدم الاكتراث، والتجاهل، وعدم الرد عليها، بعدما أدركوا أن تلك القلة القليلة من أقباط المهجر يسعدها أن تهتم بها أجهزة الإعلام المصرية، وترد عليها، وتذكر أحيانا أسماء بعض قادتها.



يا أبناء مصر -مسلمين وأقباطا- تجاهلوا هذه الحملات المغرضة، ولا تردوا عليها إلا بمزيد من التماسك والتآخى والمودة، وعندئذ ستخفت تلك الأصوات، وتتلاشى فى هدوء ولا يرى العالم فى مصر سوى صخرة الوحدة الوطنية التى تتحطم عليها جميع محاولات المغرضين.

الرد على مزاعم اضطهاد الأقباط

فى أعقاب جريمة القتل التى وقعت فى قرية الكُشح التابعة لدار السلام بمحافظة سوهاج فى ١٤/٨/١٩٩٨، واستغلتها أجهزة الإعلام الغربية فى ترويج الأكاذيب التى تزعم أن الأقباط يتعرضون إلى ألوان شتى من التعذيب والاضطهاد، وصلتنى عدة رسائل وفاكسات من بعض الأجانب والمصريين المقيمين فى الخارج، تبينت من الإطلاع عليها لأول وهلة أن مرسليها وقعوا تحت تأثير الدعايات الكاذبة والمضللة والافتراءات التى لا أساس لها من الصحة.

وإلى أصحاب هذه الرسائل والفاكسات، أعرض الحقائق كاملة، ليعلموا أن أجهزة الإعلام الغربية تطلق الشائعات والافتراءات بهدف شق ظهر الوطن وإحداث فتنة بين أبناء الشعب الواحد.

أولا: جريمة القتل التى وقعت فى يوم ١٤/٨/١٩٩٨ بقرية "الكُشح"، والتى انتهزتها بعض أجهزة الإعلام الغربية لإثارة مشكلة اضطهاد الأقباط، تبين -من التحقيقات- أنها جريمة قتل عادية، لا علاقة لها بأى دوافع دينية، فكل من الجانى والمجنى عليهما من

الأقباط، بل إن الجانى هو ابن عم المجنى عليهما، وكانوا -مع بعض أصدقائهم من الأقباط أيضا- يلعبون الميسر، ولما خسر الجانى استشاط غضبا وارتكب جريمته.

وكان من واجب أجهزة الشرطة أن تبادر إلى الاهتمام بالحادث، واتخاذ الإجراءات اللازمة مع جميع المشتبه فيهم. وإذا كانت قد وقعت بعض التجاوزات من رجال الشرطة، فإن أول ضحايا التجاوزات كانوا بعض المسلمين الذين اتجهت إليهم الأنظار فى البداية، لأن أول ما يخطر على البال حين يقتل اثنان من الأقباط فى إحدى القرى الصغيرة التى تسكنها أغلبية قبطية، أن تكون وراء هذه الجريمة عملية انتقامية إرهابية، استهدفت إحراج النظام وتشويه صورته فى الخارج، لذلك كان المسلمون فى القرية فى مقدمة من فتشت بيوتهم واستدعوا إلى التحقيق فى مركز دار السلام، وكانوا أول الذين تعرضوا للتجاوزات التى طيرت وكالات الأنباء أخبارها.

ثانيا: ليس صحيحا ما ورد فى إحدى الرسائل المرسلة إلىّ، من أن ١٢٠٠ من الأقباط قد عذبوا وشوهت أجسامهم وهتكت أعراضهم وأهدرت آدميتهم، وأن هذه الأفعال الوحشية شملت الأطفال والنساء والمسنين.

ويدهشنى ويؤلمنى حقا أن ينخدع هؤلاء المثقفون بهذه الأكاذيب، فمصر -أم الحضارة- لم تكن فى يوم من الأيام دولة همجية بربرية لا تعرف شيئا اسمه حقوق الإنسان.

ثالثا: تبين أن قرية "الكُشح" - التى يسكنها حوالى ٢٥ ألف شخص أغلبيتهم من الأقباط - بها أربعة مساجد وأربع كنائس، وهذا يكشف بوضوح عن مدى الحرية الدينية التى يتمتع بها الأقباط فى تلك القرية، وفى غيرها من قرى مصر.

رابعا: لاحظ المراقبون السياسيون الربط المتكرر بين مزاعم اضطهاد الأقباط فى مصر، وموقف القيادة المصرية بزعامة الرئيس محمد حسنى مبارك، المساند للشعب الفلسطينى المظلوم، فكلما أيدت مصر المطالب الفلسطينية العادلة، وجدنا أعداء السلام يثيرون موضوع اضطهاد الأقباط كوسيلة للضغط على مصر، وضرب مسيرتها التقدمية والحضارية، لجعلها مهيضة الجناح لا تقوى على التحليق فى آفاق التقدم العلمى والاقتصادى والاجتماعى، وبذلك يضعف دور مصر القيادى فى المنطقة، ويخلو المجال لأصحاب الممارسة العدوانية والتوسعية لقهر الشعب الفلسطينى وحرمانه من إقامة دولته المستقلة.

خامسا: الدستور المصرى يلفظ أى لون من ألوان التفرقة بين المواطنين، وعلى سبيل المثال نصت المادة ٤٠ منه على أن: "المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة"، ونصت المادة ٤٦ على أن: "تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية"، ونصت المادة ٦٠ على أن: "الحفاظ على الوحدة الوطنية واجب على كل مواطن".

هذه النصوص -وغيرها- تضعها الدولة موضع التطبيق العملى الدقيق، فالأقباط يتساوون مع المسلمين فى جميع حقوق الإنسان الاجتماعية، وأهمها الحق فى التعليم، والحق فى الصحة، والحق فى العمل، والحق فى الحرية الدينية، وغير ذلك من الحقوق والحريات العامة، فالقبول بالمدارس والجامعات يتم وفقا لقواعد موضوعية محددة لا علاقة لها بالدين، والمستشفيات العامة تستقبل المرضى بغض النظر عن انتمائهم الدينى أو الفكرى أو السياسى، وتعيين العمال يتم عن طريق ما يسمى مكتب القوى العاملة الذى لا يفرق بين مسلم وقبطى، والتلاميذ الأقباط فى المدارس الحكومية يدرسون الدين المسيحى كمادة مقررة يؤدون فيها الامتحان فى نهاية العام الدراسى.

سادسا: إلى الإخوة الذين أعلنوا فى رسائلهم المشار إليها أنهم لن يضعوا أقدامهم فى مصر، ما لم يصلهم -على وجه السرعة- ما يطمئنهم على مدى صدق تلك الأحداث، أقول لهم أننى أدعوكم لزيارة مصر لكى تشاهدوا بأنفسكم فى طول البلاد وعرضها، كيف يعيش الأقباط والمسلمون كأسرة واحدة كبيرة، يسودها الحب والود والإخلاص المتبادل والمصالح المشتركة. كما أدعوكم لزيارة قرية "الكُشح" بالذات، لتروا نموذجا فريدا من الوحدة الوطنية التى تربط أهل القرية برباط متين، فالتجارة تتم بالمشاركة بين المسلمين والأقباط، والزراعة كذلك، والجميع يأكلون من طعام واحد ويشربون من ماء واحد.

سابعا: ختاما، أكرر مرة أخرى أن كل ما ورد فى تلك الرسائل افتراءات لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وأنها تخفى وراءها أهدافا سياسية ذكرتها فيما سبق.

محاولة إثارة الفتنة الطائفية فى الكُشْح

فى مساء يوم الجمعة ١٩٩٩/١٢/٣١، والعالم كله يتأهب لاستقبال عام جديد، وقرن جديد، وألفية جديدة، وقعت بعض الأحداث المؤسفة فى قرية الكُشْح، بسبب خلاف نشب بين شخصين من أهل القرية، أحدهما قبطى والآخر مسلم، وتطور الخلاف - بعد استعانة كل طرف بأفراد عائلته- إلى تبادل إطلاق الأعيرة النارية، وإذاعة بعض الشائعات الكاذبة التى روجها دعاة الفتنة الطائفية وأعداء الوحدة الوطنية، وأدى ذلك إلى احتراق عدد كبير من المتاجر والبيوت والمحلات والسيارات، وأغلقت المساجد والكنائس، وسقط عدد من القتلى والجرحى من الطرفين بلغ عددهم -كما ذكرت الصحف- ٤٧ شخصاً.

وعادت الأحداث المؤسفة تطل بوجهها الكئيب فى صباح يوم الأحد، وامتدت إلى بعض القرى المجاورة، إلى أن تمكنت القيادات الدينية والسياسية من احتواء الأزمة وتهدئة النفوس وكشف الشائعات الكاذبة.

وفى اعتقادى أن تلك الأحداث المؤسفة غريبة عن طبيعة الشعب المصرى، وعن الرباط المتين الذى يربط بين الأقباط

والمسلمين منذ أربعة عشر قرناً، وعن الأخوَّة والمحبة والمودة والمصالح المشتركة التى يتميز بها أهالى قرية الكُشْح بالذات. وكان من الممكن احتواء الخلاف بين القبطى والمسلم منذ بدايته، لولا العصبية العائلية التى تسيطر على معظم قرى الصعيد، وانطلاق الشائعات الكاذبة التى أججت لهيب الفتنة، وغياب دور أجهزة الإدارة المحلية، وكذلك غياب دور رجال الدين، الذين من واجبهم تبصير الجماهير بصحيح الدين، وما يدعو إليه من قبول الآخرين المختلفين فى العقيدة، والتعايش السلمى معهم، والبر بهم والقسط إليهم.

واللافت للنظر أن بعض الصحف (الأهرام -٩/١/٢٠٠٠) نشرت أن محافظ سوهاج (أحمد عبد العزيز بكر) قد استجاب لطلب الأنبا باخوم (أسقف سوهاج والمنشاة والمراغة) لتغيير اسم قرية الكشح، لأن هذا الاسم يعنى -فى علم اللغة- العداوة.

وفى اعتقادى أن الحل ليس فى تغيير اسم القرية فحسب، وإنما الأهم من ذلك تغيير ما فى النفوس والضمائر من مفاهيم خاطئة عن صحيح الدين، ومن عادات وتقاليد تكرس العصبية العائلية والقبلية التى تضعف من مفهوم "المواطنة".

ارفعوا أيديكم عن الأقباط[1]

إن أشد ما يغضب الأقباط ويسئ إلى مشاعرهم هو الحديث عنهم أو التعامل معهم كأقلية، فهم يحرصون دائما على التعامل مع إخوانهم المسلمين باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى كله، الذى انصهر فى بوتقة واحدة على مر التاريخ وتكونت منه سبيكة متينة متجانسة لا يمكن الفصل بين أجزائها، ولذلك حق لمصر أن تتباهى بأنها أعظم بوتقة انصهار فى العالم.

لقد رفض الأقباط -على مر التاريخ- أى تدخل أجنبى فى شئونهم، وخير شاهد على ذلك موقف الأقباط من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٩٢م. فقد ثاروا عليه وأسقطوه ورفضوا أن يكونوا تحت الحماية البريطانية. كما أنهم قاطعوا مؤتمر الأقليات سنة ١٩٩٤. ورفضوا وضعهم جنبا إلى جنب مع الأكراد فى العراق، والبربر فى المغرب العربى، والدروز فى إسرائيل، والأرمن فى لبنان، وأعلن رأس

(١) مجلة منبر الإسلام - السنة ٥٧ العدد (٨) شعبان ١٤١٩هـ (ديسمبر ١٩٩٨م).

الكنيسة قداسة البابا شنودة الثالث أن أقباط مصر ليسوا أقلية ضمن أقليات العالم العربى والشرق الأوسط.

إننى أقول لكل من يحاول التدخل فى شئون الأقباط: ارفعوا أيديكم عن الأقباط، فأنتم لستم أوصياء عليهم، دعوهم يعيشون فى سلام مع إخوانهم المسلمين، ولا تحاولوا أن تبذروا بذور الفتنة بينهم، فمن يقرأ تاريخ مصر، يدرك على الفور أن مثل هذه المحاولات سوف تتحطم على صخرة الوحدة الوطنية.



رمضان والوحدة الوطنية[1]

لما كان الشعب المصرى من أصل واحد، وعنصر واحد، ونسيج واحد، فإن ما يسود المجتمع من عادات وتقاليد وسلوكيات تسرى بين أفراد الشعب من مسلمين وأقباط. وهذه الظاهرة تتجلى فى أبهى صورها عندما يحل شهر رمضان المعظم، فكل ما يتميز به هذا الشهر الكريم من بهجة وفرحة نجدها تعم جميع المواطنين، سواء كانوا مسلمين أو أقباطا.

وأذكر أننى فى طفولتى وصباى كنت أنتظر على أحر من الجمر حلول هذا الشهر الكريم لكى اشترى، "فانوس رمضان" وألتقى مع الصبية من جيرانى المسلمين والأقباط، وبيد كل منا فانوسه، وكان بعض الصبية المشاغبين يحاولون العبث بفوانيس غيرهم لإطفاء الشمع الذى يضيئها (فلم تكن قد ظهرت بعد الفوانيس التى تضاء بالبطاريات). وكنا نظل على تلك الحال إلى ساعة متأخرة من الليل، نردد الأناشيد والأغانى التى ترحب بهذا الشهر المعظم.

---

(١) صحيفة الأهرام - ١٩/١٢/١٩٩٨.

وعندما بدأت حياتى الوظيفية فى هيئة قضايا الدولة، كنا ننظم موائد بالإفطار طوال أيام هذا الشهر، ولا يتخلف عن الاشتراك فيها أى عضو سواء كان مسلما أو قبطيا، بل إن الأعضاء الأقباط -وأنا واحد منهم- كانوا يحرصون على القيام بأنفسهم بإعداد هذه الموائد، وتنظيمها، واختيار الأطعمة الشهية. وكان الجميع يجلسون متجاورين يأكلون من طعام واحد ويشربون من ماء واحد، ولا يستطيع أى شخص غريب أن يميز من فيهم المسلم ومن فيهم القبطى.

إن الوحدة الوطنية التى تربط هذا الشعب العظيم من أقدم العصور، تبلغ ذروتها فى شهر رمضان المعظم.

وكل عام ومصر وشعبها بخير،،،



القسم الثانى

المساواة فى الإسلام



كلمة المؤلف

فى مؤتمر "العطاء الحضارى للإسلام"

الإسكندرية ٢٨-٣١ أغسطس سنة ١٩٩٣

فى جلسة المؤتمر المنعقدة صباح يوم الأحد الموافق ١٩٩٣/٨/٢٩ ألقى المؤلف الكلمة الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم

- ☒ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر ورئيس المؤتمر.
- ☒ السيد الأستاذ الدكتور محمد على محجوب - وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ☒ السادة العلماء الأفاضل أعضاء المؤتمر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن لمن دواعى سعادتى الغامرة أن أُدعى للمشاركة فى أعمال هذا المؤتمر العالمى. ويسرنى أن أهنئكم جميعاً بحلول ذكرى المولد النبوى الشريف، سائلاً الله -جلت قدرته- أن يعيد هذه

الذكرى المباركة على الشعـوب العربيـة والإسلاميـة بـالخير واليمن والبركات.

واسمحوا لى أن أحى الأخ الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق، الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فقد ألمَّ به مرض أقعده عن المشاركة فى هذا المؤتمر، رغم أنه بذل جهداً كبيراً فى الإعداد له، أسأل الله أن ينعم عليه بالشفاء العاجل.

كلمتى فى هذا المؤتمر تتناول موضوع معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى. ويرجع اهتمامى بهذا الموضوع إلى سنين طويلة، منذ أن وقعت بعض الأحداث المؤسفة التى سميت بالفتنة الطائفية فعكفت على دراسة الإسلام دراسة متعمقة، لأعرف ما إذا كان يقر أحداث العنف أم لا. ولأتبين حدود العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وأسس التعامل بينهم. وأبادر إلى الاعتراف بأن تلك الدراسة قد صححت عندى كثيرا من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، إذ تبينت أن الإسلام دين العدالة، والمساواة، والرحمة، والمودة وحسن المعاملة للبشر جميعا، وخاصة أهل الكتاب منهم. بل إن الإسلام يأمر بالرحمة والشفقة على الحيوان، وكلنا نعرف قصة المرأة التى ألقيت فى جهنم لأنها عذبت هرة، والرجل الذى دخل الجنة لأنه أطفأ ظمأ كلب عطشان، فإذا كان هذا هو موقف الإسلام بالنسبة للحيوان، فكم بالأحرى يكون موقفه بالنسبة للإنسان.

وفى اعتقادى أن المحور الرئيسى الذى يرتكز عليه موضوع معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، هو نظرة الإسلام إلى الإنسان. فالله -سبحانه وتعالى- قد كرَّم الإنسان، واستخلفه فى الأرض، وحمَّله الأمانة.

ويلاحظ أن الإسلام يرفع شأن الإنسان لذاته لا لاعتقاده، من حيث هو تكوين بشرى، وقبل أن يصبح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا أو بوذيا، وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أو أصفر، والنصوص القرآنية شديدة الوضوح فى هذه النقطة بالذات، لأنها تتحدث تارة عن "الإنسان" وتارة عن "بنى آدم" ومرات أخرى توجه الحديث إلى "الناس". وهذا التعميم لا تخفى دلالته على من يدرك لغة الخطاب فى القرآن الكريم، التى تستخدم موازين للتعبير غاية فى الدقة، فتبين متى يكون الخطاب للإنسان وللناس عامة، ومتى يكون الكلام للمؤمنين والمسلمين قبل غيرهم.

ولذلك وردت كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤكد أن جميع العباد إخوة، وأن الناس جميعا عيالُ الله.

وخلاصة القول أن التفرقة بين البشر فيما هو دنيوى حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم، ليست من منهج الإسلام، لأن القاعدة هى المساواة، والجميع فى ديار الإسلام "أمة واحدة" كما

جاء فى أول دستور لدولة المدينة المنورة، والخلق كلهم "عيالُ الله" بالتعبير النبوى، فضلا عن أن الناس جميعا خلقوا "من نفس واحدة" بالتعبير القرآنى.

إخوانى العلماء الأفاضل:

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل الناس أمماً مختلفة، وبالتالى فهى تتصارع وتتدافع وتختلف فى الرأى والمعتقد. وبناء عليه تتعدد الشرائع والمناهج سواء كانت دينية أم دنيوية.

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات عديدة تؤكد هذا المعنى. ومؤدى ذلك أنه يجب على الإنسان أن يمتثل لسنة الله فى خلْقه، وأن يوطن النفس -فى شأن العقيدة- على حريتها والتسامح فيها، إذ التعامل مع الكثرة -وهى سنة من سنن الحياة- يستلزمها حتماً.

وترتيبا على ذلك، نجد الآيات القرآنية العديدة التى تؤكد حرية العقيدة وأنه لا إكراه فى الدين.

كذلك نجد آيات أخرى تلزم الذين يدعون إلى الله، بآداب معينة لا تجرح شعور الآخرين، إذ من المقرر فى الإسلام أنه لا يحق للمسلم أن يحاسب غير المسلمين، حتى ولو كانوا كفاراً، على

معتقداتهم، وإنما الحساب على ذلك لله تعالى فى الآخرة، ولذلك وجدنا بعض المسلمين المستنيرين يوجهون نقداً لاذعاً لبعض الدعاة الذين يهاجمون عقائد الغير من فوق المنابر.

والحقيقة التى سجلها التاريخ هى أن المسلمين قد التزموا بآية "لا إكراه فى الدين" بغاية الدقة، فأبقوا على الديانات والملل فى جميع البلاد التى فتحوها.

وانطلاقا من كون الناس جميعا إخوة، فإن الإسلام يأمر بإقامة العدل بينهم، بغض النظر عن ديانتهم أو جنسهم أو لونهم. والآيات القرآنية التى تأمر بالعدل والقسط، حتى مع الأعداء، عديدة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التى بينت ما ينبغى أن يحظى به العدل فى ضمير كل مسلم.

إن العدل فى الإسلام قيمة مطلقة وليست نسبية، إنه كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لا رخصةَّ فيه من قريب أو بعيد، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية إن العدل نظامُ كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها فى الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به فى الآخرة. وهذا ما جعل السلف من قبل ينحازون إلى الكافر العادل دون المسلم الجائر.

إخوانى العلماء الأفاضل:

فيما يتعلق بأهل الكتاب، فمن المقرر أن لهم منزلةً خاصةً فى المجتمع الإسلامى، فبالإضافة إلى عنصرى الأصل الواحد وحصانة الآدمية لذاتها، فقد اعترف الإسلام بأنبياء اليهود وبالسيد المسيح، وبذلك أضاف الإسلام فى أسس التعامل مع أهل الكتاب، وشيجة إيمانية إلى جانب الوشيجة الإنسانية، محورها الرئيسى أن هذه الأديان الثلاثة تؤمن بإله واحد أحد لا شريك له، ولذلك وجدنا النجاشى ملك الحبشة - بعد سماعه بعض الآيات من سورة مريم- قد رسم خطاً على الأرض وقال للمسلمين المهاجرين: ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط.

كذلك بين بعض رجال الدين الأقباط، نقاط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية، وانتهوا إلى أنها أكثر من نقاط الالتقاء بين المسيحية واليهودية.

ولذلك ذهب جمهور المؤرخين إلى أن نقاط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية، والأرضية المشتركة الواسعة للدينين، هى التى ساعدت على تحول الأقباط من المسيحية إلى الإسلام، فقد رأوا فى الإسلام مخرجاً مريحاً من متاهة الخلاف المذهبى، الذى كان محتدماً فى ذلك الوقت حول الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد

المسيح، ورأى الكثير منهم أن الانتقال إلى الإسلام ليس خروجا من دين إلى دين.

وفى ضوء هذا التقارب بين الإسلام والمسيحية، يمكن فهم الحديث النبوى الشريف عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "الأنبياء، إخوةُ لعَلات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى".

وقد وردت فى كتب الحديث المعروفة بعض الأحاديث الشريفة الأخرى التى تؤكد هذا المعنى.

وبالنسبة لحقوق غير المسلمين المقيمين فى المجتمع الإسلامى، فهى تحكمها القاعدة الذهبية الحكيمة، التى يسندها الكاسانى إلى حديث شريف، وهى "لهم ما لنا وعليهم ما علينا".

وقد التزم المسلمون على مدى أربعة عشر قرناً -باستثناء بعض عهود الضعف والتدهور التى لم ينج منها المسلمون أنفسهم- بهذه القاعدة ووضعوها موضع التنفيذ الدقيق فى كافة معاملاتهم مع غير المسلمين عامة، وأهل الكتاب خاصة.

والشواهد على تطبيق هذه القاعدة من الكثرة بحيث يصعب حصرها، واكتفى بالإشارة إلى أهمها:

أولا: يتساوى الذمى مع المسلم فيما يتعلق بحرمة الدم والعرض والمال.

ثانيا: لم يكتف الفقه الإسلامى بذلك، بل زاد عليه بأن أعطى لأهل الكتاب حق مباشرة التصرفات التى تسمح بها شرائعهم ولو خالفت الشريعة الإسلامية.

ثالثا: ضمن الإسلام لغير المسلمين الحق فى العمل والتجارة وممارسة جميع ألوان النشاط الاقتصادى، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين تماماً. كما يكفل الإسلام لغير المسلمين المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه، وقد أجمع الفقهاء على أن "التضامن الاجتماعى"، مبدأ عام فى الإسلام يشمل جميع أفراد المجتمع: مسلمين وغير مسلمين.

رابعا: وفيما يتعلق بحق غير المسلمين فى شغل الوظائف العامة، فهناك بعض الآيات المتعلقة بالولاية والتى أسئ تفسيرها للوقيعة بين المسلمين وغيرهم. ولا يتسع المقام للحديث التفصيلى فى هذا الشأن، وإنما أوجز القول فى أن الفهم السليم لهذه الآيات دون بترها عما قبلها وما بعدها، لا يشكل قيداً على اشتراك غير المسلمين فى تسيير شئون ومرافق الدولة الإسلامية.

ولذلك أجاز الفقه الإسلامى أن يتولى غير المسلمين الوظائف القيادية فى الدولة الإسلامية إلا الوظائف التى تغلب عليها الصبغة الدينية كالإمامة. وقد سجل التاريخ أسماء الكثيرين من أهل الكتاب الذين شغلوا أرفع المناصب فى العصور الإسلامية المختلفة.

وفى هذا المجال بالذات يؤكد بعض الكتاب أن الواقع العملى قد انفصل عن دائرة التنظير - التى تميِّز بين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ - وسبقها بأشواط بعيدة.

خامسا: سجل التاريخ الكثير من الروايات عن عدل الحكام والقضاة المسلمين، وعدم إقامتهم أيةَ تفرقة بين المسلمين وغيرهم.

ولا يتسع المقام لبيان هذه القصص والروايات بالتفصيل، ولعل أشهرها قصةُ الصبى القبطى الذى شكا إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ما وقع عليه من ظلم بيدى ابن عمرو بن العاص، فأمر عمر بأن يقتص القبطى من ابن حاكم مصر قائلا له: اضرب ابن الأكرمين. وقبل أن تعرف الدنيا شيئا اسمه حقوق الإنسان، قال عمر بن الخطاب عبارته التى ظلت تقرع أسماع الزمان على مدى أربعة عشر قرناً: لِمَ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

كذلك سجل التاريخ كيف أصر شيخ الإسلام ابن تيمية على افتكاك جميع أسرى التتار من اليهود والنصارى، أسوة بالأسرى المسلمين.

ولا يفوتني أن أتكلم عن الموضوع الذى احتل مكان الصدارة بين الموضوعات التى أسيء استخدامها لتعكير صفو العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، وأعنى بذلك موضوع الجزية. وبداية أقول إن الجزية ليست ابتكارا إسلاميا، فقد عرفها الفرس، ويقال إن أول من سن الجزية هو كسرى أنو شروان ملك الفرس. ومن ناحية أخرى فإن التوجيه فى آية الجزية موضوعه جماعة من أهل الكتاب لهم مواصفات محددة، ومناسبته أن المسلمين كانوا يتأهبون لخوض المعركة ضد الروم الحاقدين على الإسلام. ويلاحظ أن بعض المفسرين قد تطرفوا فى تفسير آية الجزية، ولهم العذر فى ذلك، لأنهم تأثروا بالمناخ الردىء الذى كان سائدا فى عصور الحروب الصليبية واجتياح التتار للعالم الإسلامى، فكان رد الفعل الطبيعى لديهم هو التطرف فى تفسير آية الجزية.

ولكن الخطأ الفادح الذى وقع فيه هؤلاء المفسرون هو أنهم عزلوا آية الجزية عن المبادئ الأساسية التى قررها الإسلام، سواء فى نظرته إلى رفع شأن الإنسان الذى كرّمه الله واستخلفه فى الأرض وحمّله الأمانة، أو دعوته إلى البر والقسط بأهل الكتاب الذين تربطهم بالمسلمين وشيجة إيمانية فضلا عن الوشيجة

الإنسانية. ولذلك ذهب بعض الكتَّاب إلى أن تطرف هؤلاء المفسرين، يخدش صورة الإسلام ذاته، ويسىء إليه بأكثر من إساءته إلى الآخرين.

وعلى أية حال، فالرأى المتفق عليه بين الفقهاء هو أن الجزية تسقط عن الذمى إذا ما حارب فى صفوف المسلمين. ولما كان الواقع الراهن هو أن جميع أبناء الوطن -من مسلمين وغير مسلمين- يشتركون صفاً واحداً فى الدفاع عن ترابه، فإن موضوع الجزية لم يعد واردا فى المجتمع الإسلامى الحديث، على اعتبار أن العلة الأساسية التى بنى عليها الحكم الشرعى لم يعد لها وجود[1].

إخوانى العلماء الأفاضل

اسمحوا لى أن أذكر لكم نموذجاً من التاريخ، يوضح ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، وهذا النموذج هو وقائع اللقاء الأول بين الإسلام والمسيحية على أرض مصر.

---

(١) ويلاحظ أنه فى جلسة المؤتمر المنعقدة مساء يوم الأحد ١٩٩٣/٨/٢٩ وجه الأستاذ الدكتور صلاح عبد المتعال، سؤالاً إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق (رئيس المؤتمر) حول موضوع الجزية، فأجاب فضيلته بأن الجزية تسقط عن جميع المواطنين غير المسلمين إذا ما شاركوا فى كافة الأعباء التى يتحملها المواطنون المسلمون، كدفع الضرائب والاشتراك فى الحرب وغير ذلك.

وقد سجل وقائع هذا اللقاء مؤرخان: أولهما مسلم، والثانى قبطى. والمؤرخ المسلم هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم. والمؤرخ القبطى هو ساويرس بن المقفع. وكلاهما اتفقا على أن الأقباط قد ساعدوا العرب المسلمين على فتح مصر، وقدموا لهم التسهيلات المختلفة، وأن اللقاء الأول بين عمرو بن العاص، والبابا بنيامين - الذى كان هارباً فى الصحراء من ظلم الرومان المسيحيين بسبب الاضطهاد المذهبى وأعاده عمرو إلى كرسيه - هذا اللقاء كان ودياً. ويقول المؤرخان: وقرَّب عمرو إليه البطريك بنيامين حتى لقد أصبح من أعز أصدقائه عليه.

والدرس البالغ الأهمية الذى يلقنه هذا اللقاء للأجيال المتعاقبة، هو أن أساس هذا اللقاء لم يكن اعتناق أحد الطرفين لعقيدة الآخر، بل على العكس من ذلك، كان أساس اللقاء هو احترام كل طرف لعقيدة الآخر، بحيث تتعايش العقيدتان معاً لا تستبعد إحداهما الأخرى، فقد تعلم الشعب المصرى من خلال تاريخه الطويل، أن العقائد المختلفة يجب أن تقف مترابطة متعاونة لتواجه المشاكل الوطنية والاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية.

وقد أجمع المؤرخون على أن الأقباط تمتعوا فى ظل الحكم الإسلامى بحرية تامة فى ممارسة شعائرهم الدينية، واستعادوا كنائسهم التى اغتصبها الروم.

والحقيقة أن الأقباط لم ينسوا أبداً الدرس القاسى الذى تلقوه من الإمبراطورية الرومانية المسيحية، وما تعرضوا له من اضطهاد مذهبى بشأن الخلاف حول الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد المسيح مما جعل البابا بنيامين -كما أسلفت القول- يهرب فى الصحراء عدة سنين إلى أن أعاده عمرو بن العاص إلى كرسيه.

وقد استوعبت الأجيال القبطية هذا الدرس القاسى، ولذلك عندما جاءت بعد بضعة قرون جحافل الغرب تحمل شعار الصليب فطن الأقباط من أول وهلة إلى أن تلك الجحافل عبارة عن كتائب جديدة من الجند المسيحيين الذين عرفوهم جيداً منذ القرن الرابع، ولهذا أعرضوا تماماً عن النظر إلى الغزاة على أنهم مسيحيون يربطهم بهم إيمان واحد، وانضموا إلى صفوف المسلمين، مما دفع الصليبيين إلى إصدار قانون بمنع الأقباط من زيارة بيت المقدس بدعوى أنهم ملحدون، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين.

وخلاصة القول أن الأقباط قد أدركوا -منذ الفتح الإسلامى- أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير بين أبناء مصر جميعا. وهذا ما يفسر لماذا حارب الأقباط فى صفوف المسلمين ضد جميع الغزاة من الصليبيين، والفرنسيين، والإنجليز، والإسرائيليين وغيرهم.

وختاماً أقول إن بعض المفكرين يرون أن خير مقياس يقاس به تحضر أى مجتمع من المجتمعات، يتجلى فى كيفية تعامله مع الأقليات التى تشاركه الحضارة والوطن .. الأقليات التى لا تساويه فى القوة بحكم عددها، والتى تخالفه فى العقيدة الدينية أو السياسية أو العنصرية.

ومن يدرس تعاليم الإسلام، يخرج بحقيقة هامة وهى أن الإسلام قد بلغ شأواً عظيماً فى حسن معاملة الأقليات، والبر بهم، والقسط إليهم حتى ولو كانوا من الأعداء. واتبع القاعدة الذهبية الحكيمة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" التى تضعهم على قدم المساواة مع المسلمين.

وإذا نظرنا إلى ما يجرى فى عالمنا اليوم، فإننى أقول إنه من الظلم البيِّن أن يحاسب الإسلام بتصرفات بعض المسلمين، فالعدالة تقضى بأن تقاس تصرفات المسلمين بمعايير الإسلام،

والعكس ليس صحيحا بأى حال، إذ لا ينبغى أن يحاكم الإسلام بتصرفات بعض المسلمين.

أسأل الله -جلت قدرته- أن يفتح عيون وقلوب من يحيدون عن قواعد الإسلام، ليتفهموا حقيقة ما يدعو إليه هذا الدين من قيم ومبادئ سامية.

وقبل أن أنهى حديثى أقول إن كلمتى هذه إذا كانت صواباً فهى من الله، والحمد لله، وإن كانت خطأ فمنى، وأستغفر الله.

اعتذر إذا كنت قد أطلت، وأشكركم لحسن استماعكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



التعددية فى المجتمع الإسلامى[1]

بحث مقدم للمؤتمر الدولى حول

"الإسلام والتفاهم بين مختلف الأديان والشعوب فى العالم المتغير" المنعقد بمدينة نوفوجورد التاريخية فى روسيا الاتحادية فى الفترة من ٢٥-٣٠ مايو سنة ١٩٩٥

المقصود بالتعددية:

يتناول هذا البحث موضوع التعددية فى المجتمع الإسلامى، وأقصد بالتعددية فى هذا الصدد أن يضم المجتمع الإسلامى مواطنين من غير المسلمين، يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين، يتمتعون بحقوقهم ويلتزمون بواجباتهم.

---

(١) كانت هذه التعددية موضوع كلمة المؤلف فى المؤتمر السادس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد فى مدينة الإسكندرية فى الفترة من ١٦-١٩ أغسطس سنة ١٩٩٤. والجدير بالذكر أنه فى الاحتفال الذى أقامته وزارة الأوقاف مساء يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩٩٤ بمدينة الإسكندرية بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف، تسلم المؤلف من الرئيس محمد حسنى مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، لكتاباته المنصفة للإسلام. كذلك ألقى المؤلف محاضرة عن التعددية فى المجتمع الإسلامى، فى معسكر أبى بكر الصديق لشباب العالم الإسلامى بالإسكندرية، مساء يوم الخميس ١٩٩٥/٨/٣.

أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام:

إن هذه التعددية تجد أساسها فى أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام، وهى الوثيقة التى حررها النبى صلى الله عليه وسلم وهو يرسى أسس المجتمع الإسلامى فى المدينة، والتى عرفت باسم "الصحيفة"، فقد تضمنت نصا اعتبر اليهود مع المسلمين "أمة واحدة" بحيث عوملوا كمواطنين فى الدولة الإسلامية الوليدة، ولم يعاملوا كأجانب أو رعايا من الدرجة الثانية.

هذه الوثيقة جعلت غير المسلمين المقيمين فى دولة المدينة مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين.

هذه الوثيقة تعد مفخرة من مفاخر الإسلام، لأنها سبقت المواثيق العالمية والدساتير الوطنية بقرون عدة فى مجال تطبيق مبدأ الحرية الدينية فى ظل ظرف الأمن والسلام الاجتماعى القائم على مبدأ الوحدة الوطنية بين ذوى العقائد الدينية المختلفة.

ويتضح البعد التقدمى والحضارى لصحيفة المدينة إذا لاحظنا أن المبدأ الذى كان سائدا فى العالم فى ذلك الوقت هو إكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم، فالصحيفة رفضت الأخذ بهذا المبدأ الذى كان سائدا فى دولتى الروم والفرس، وقررت أنه

من حق الشعوب الخاضعة لسلطان الدولة الإسلامية الوليدة أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وطراز حياتها.

ويقول الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى يومياته عن صحيفة المدينة: "وكان هذا العهد دستورا لأهل المدينة جميعا، مسلمين وغير مسلمين، لم يترك صغيرة ولا كبيرة تؤدى إلى الألفة والمحبة والتعاون إلا نص عليها وقررها ... وبهذا يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد أقام وحدة وطنية داخل المدينة يعمل الجميع فى إطارها، ويلتزمون بكل بنودها، متمتعين بعدل الإسلام وسماحته ... وإذا كان اليهود أقلية فى مجتمع المدينة، فإن الإسلام جعل لهذه الأقلية حقوقا، وجعل عليها واجبات، وهذا شأن الحكم العادل الذى لا يعتدى على ضعيف ولا يظلمه ولا ينكر حقا من حقوقه، ما دام يؤدى ما عليه من واجبات، فالكل سواسية أمام القانون، ومن يأثم على القانون فإنما إثمه على نفسه".

ويضيف فضيلة الشيخ الشعراوى قوله: "... إن اعتراف هذه الصحيفة بجماعة المختلفين، ثم وصفهم بالأمة الواحدة، يؤكد أن الألفة بين الجماعات على أرض واحدة، هى حجر الأساس فى بناء الوطن ومصباح الطريق إلى مستقبل قوى عزيز لهذا الوطن ...

وعلينا أن نضرب الأمثال من تراثنا التاريخى، وميراثنا الدينى، وأول هذه الأمثال "صحيفة المدينة" لعل العالم يفتح عينيه من جديد على ما يحمل الإسلام من فكر متقدم فى حقوق الإنسان، وحقوق المواطنة، وحرية التدين، وإنكار التصفيات العرقية، لأن لكل إنسان حق الحياة الكريمة التى يؤدى فيها واجباته ويأخذ حقوقه. إن الإسلام هو صاحب مبدأ الوحدة الوطنية بين الأكثرية والأقلية، وبين المختلفين فى العقائد على السواء".

ويختتم فضيلة الشيخ الشعراوى يومياته بمطالبته الهيئة العامة للكتاب بأن تذيع "صحيفة المدينة" وأن تنشرها بين الناس، مع شروح وافية لها من أساتذة التاريخ وعلماء الحضارة والاجتماع، وتقدمها للناس بسعر زهيد يكون فى متناول الجميع (للمزيد: تراجع يوميات الشيخ الشعراوى - صحيفة الأخبار القاهرية ٩/٧/ ١٩٩٣ و١٦/٧/١٩٩٣).

الاعتراف باليهود رغم نقد عقائدهم:

لاحظ كثير من علماء الإسلام أنه على الرغم مما سجله القرآن الكريم من انتقادات لعقائد اليهود، فإن ذلك لم يحل دون الاعتراف بهم فى "الصحيفة" وأنهم يعتبرون مع المسلمين "أمة واحدة".

ولكن الموقف العدائى الذى وقفه اليهود من الإسلام والمسلمين، وعدم التزامهم بالعهود، وتحالفهم مع أعداء المسلمين، كل هذا دفع المسلمين إلى أن يغيروا نظرتهم إليهم. ويعلق الكاتب الإنجليزى مونتجمرى وات على ذلك بقوله: "كم كان يمكن أن يتغير تاريخ البشرية، لو أن اليهود - وهم أصحاب ديانة توحيدية- أمكنهم أن يصالحوا المسلمين ويتعاونوا معهم" (يراجع كتاب مونتجمرى وات - محمد: النبى ورجل الدولة - عرض الأستاذ محمد الحديدى - مجلة الهلال - يناير سنة ١٩٧٩ - ص٩٢).

التعددية نابعة من مبادئ الإسلام:

فى اعتقادى أن التعددية المنصوص عليها فى "صحيفة المدينة" جاءت تطبيقا لمبادئ أساسية يرتكز عليها الإسلام، نوضحها فيما يلى:

١- المبدأ الأول:

أن الله سبحانه وتعالى قد رفع شأن الإنسان، بأن كرمه واستخلفه فى الأرض وحمّله الأمانة. والملاحظ أن الآيات القرآنية التى تمجد الإنسان وتعلى مرتبته فوق كل المخلوقات، تتناول الإنسان لذاته لا لاعتقاده، ومن حيث هو تكوين بشرى، وقبل أن

يكون مسلما أو مسيحيا أو يهوديا أو بوذيا، وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أو أصفر. والنصوص القرآنية شديدة الوضوح فى هذه النقطة بالذات، فهى تارة تتحدث عن "الإنسان" وتارة تتحدث عن "بنى آدم"، ومرات توجه الحديث إلى "الناس". وهذا التعميم لا تخفى دلالته على أى عقل منصف مدرك للغة الخطاب فى القرآن الكريم، التى تستخدم موازين للتعبير غاية فى الدقة، فتبين متى يكون الخطاب للإنسان والناس عامة، ومتى يوجه الكلام للمؤمنين والمسلمين قبل غيرهم (للمزيد يراجع: فهمى هويدى -مواطنون لا ذميون- الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ - دار الشروق - ص٨١).

هذه النظرة السامية للإنسان -لمجرد كونه إنسانا- وبغض النظر عن أية صفة أخرى فيه، تقود على الفور إلى تأكيد حقيقة ثابتة وهى أن الإسلام يساوى بين الناس جميعا، بل إن هذه المساواة لا تقتصر على كونها "حقا" للإنسان، بل تتجاوز ذلك إلى إدخالها فى إطار "الواجب" (يراجع: محمد عمارة: الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق - الكويت - سنة ١٩٨٥ ص١٤-١٦).

إن التفرقة بين الناس فيما هو دنيوى، حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم ليست من منهج الإسلام، إذ القاعدة هى المساواة، فالجميع فى ديار الإسلام "أمة واحدة" كما ورد فى "صحيفة

المدينة"، والخلق كلهم "عيال الله" بالتعبير النبوى، فضلا عن أن الناس جميعا خلقوا من "نفس واحدة" بالتعبير القرآنى. (تراجع على سبيل المثال، سورة النساء -١، وسورة لقمان -٢٨).

وقد بلغ حرص الإسلام على حياة الإنسان -أى إنسان- أنه اعتبر ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة -٣٢)، فهذه الآية الكريمة تنطوى على تصور بالغ القوة فى الدلالة على بشاعة جريمة قتل الإنسان ظلما بغير حق، فهى ليست عدوانا على الفرد فقط، ولا عدوانا على المجتمع كما تنص التشريعات الجنائية الوضعية، ولكنها شىء أكبر وأفدح، إنها عند الله سبحانه عدوان على الناس جميعا، على الجنس البشرى بأسره دون تفرقة بين لون وجنس وملة.

وانطلاقا من كون الناس كلهم إخوة، فإن الإسلام يأمر بإقامة العدل بينهم بغض النظر عن ديانتهم أو جنسهم أو لونهم، والقرآن الكريم زاخر بالآيات العديدة التى تأمر بالعدل والقسط حتى مع الأعداء. فالعدل اسم من أسماء الله الحسنى، وقد اعتبر الإسلام العدل قيمة مطلقة وليست نسبية، وقد جاء فى كتب الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين عاما" (جامع الأحاديث للإمام السيوطى - جـ٤ - رقم ١٤٠٨٨ ص٥٠٨)، وقال أيضا: "يا أيها الناس إنما ضل من

قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها" (صحيح البخارى - كتاب الحدود - باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان - طبعة دار الشعب - جـ٨ - ص١٩٩). ووصف ابن تيمية العدل بقوله: إن العدل نظام كل شىء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها فى الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به فى الآخرة (ابن تيمية - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - الطبعة الثانية - القاهرة - المكتبة القيمة - سنة ١٤٠١ هـ - ص٤٣)، ولعل هذا ما جعل السلف من قبل ينحازون إلى الكافر العادل دون المسلم الجائر. وفى عبارة حاسمة كحد السيف كتب أحد العلماء: قل لى أين أنت من العدل، أقل لك أين أنت من الإسلام (فهمى هويدى - القطب الأعظم للدنيا- صحيفة الأهرام - ٤/٨/١٩٩٢).

٢- المبدأ الثانى:

ثانى المبادئ التى ارتكزت عليها صحيفة المدينة، هو حرية العقيدة، فالقرآن الكريم زاخر بالآيات العديدة التى تؤكد هذه الحرية وأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة - ٢٥٦). وترتيبا على ذلك فإنه من المقرر فى الإسلام أنه لا يحق للمسلم أن يحاسب غير

المسلمين -حتى ولو كانوا كفارا- على معتقداتهم، وإنما الحساب على ذلك لله تعالى فى الآخرة.

والحقيقة التى سجلها التاريخ هى أن الحكام المسلمين قد التزموا بقاعدة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فأبقوا على الديانات والملل فى جميع البلاد التى فتحوها، وأتاحوا لغير المسلمين الحرية الكاملة فى أداء شعائرهم الدينية.

وعلى سبيل المثال، فعندما جاء عمرو بن العاص فاتحا لمصر، وضع نصب عينيه مبدأ التعددية الذى أرسته "صحيفة المدينة"، ولذلك بادر إلى إعادة البابا بنيامين -بطريرك الأقباط- إلى كرسيه بعد أن كان هاربا فى الصحراء عدة سنين من ظلم الرومان المسيحيين بسبب الخلاف المذهبى الذى كان محتدما فى ذلك الوقت، ويقول المؤرخون: وقرب عمرو إليه البطريرك بنيامين حتى لقد أصبح من أعز أصدقائه عليه (للمزيد يراجع كتابنا فى: معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣ - مكتبة غريب - ص١٣٣-١٤٤).

والحقيقة التى سجلها التاريخ هى أن المسلمين والأقباط فى مصر، قد عاشوا كأسرة كبيرة واحدة يسودها الحب والوفاء والإخلاص فى كافة مناحى الحياة، ويتساوى فى ذلك سكان

الريف مع سكان الحضر (وذلك باستثناء بعض عهود الضعف والتدهور التى كان الظلم فيها يقع على المسلمين والأقباط معا)، فالجميع -من مسلمين وأقباط- يشتركون فى معيشة واحدة فى السراء والضراء، مزجتهم وأصبح من المستحيل التفريق بينهم. وقد لاحظ ذلك عميد الاستعمار البريطانى اللورد كرومر، فكتب قائلا: إنه لا يوجد شىء على الإطلاق يميز بين المسلم والقبطى فى مصر، لا فى الشكل، ولا فى الزى، ولا فى العادات أو التقاليد أو أسلوب المعيشة، الشىء الوحيد الذى يميز بينهما هو أن المسلم يعبد الله فى المسجد، والقبطى يعبد الله فى الكنيسة (يراجع كتاب كرومر: مصر الحديثة - بالإنجليزية - جـ٢ ص٢٠٥-٢٠٦ و٥٦٨-٥٦٩).

٣- المبدأ الثالث:

ثالث المبادئ التى قامت عليه صحيفة المدينة، هو أن لأهل الكتاب منزلة خاصة فى المجتمع الإسلامى، فبالإضافة إلى عنصرى الأصل الواحد وحصانة الآدمية لذاتها، فقد اعترف الإسلام بأنبياء اليهود وبالسيد المسيح، فإسلام المسلم لا يكتمل إلا إذا آمن بجميع الرسل والأنبياء، وبذلك أضاف الإسلام فى أسس التعامل مع أهل الكتاب، وشيجة إيمانية إلى جانب الوشيجة الإنسانية، محورها الأساسى أن الأديان الثلاثة تؤمن بإله واحد أحد لا شريك له.

ولذلك وجدنا النجاشى ملك الحبشة -بعد سماعه بعض الآيات من سورة مريم- قد رسم خطا على الأرض وقال للمسلمين المهاجرين: ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط (للمزيد يراجع: كتابنا السالف الذكر- ص٧٣).

وفى ضوء هذا التقارب بين الديانات السماوية الثلاث، يمكن فهم الحديث النبوى الشريف عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "الأنبياء إخوة لعَلات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى" (البخارى فى صحيحه - جـ٦ ص٣٥٤، مسند الإمام أحمد بن حنبل - جـ٢ ص٤٠٦).

وقد لاحظ بعض الكتاب أن كلمة (الدين) لم تأت فى القرآن الكريم بصيغة الجمع (أديان) على الإطلاق، وإنما هو دين واحد، وقد تعددت رسالاته ورسله، والذى تلقاه خاتم الرسل هو فى جوهره ما تلقاه الرسل من قبله" (يراجع: بنت الشاطئ "عائشة عبد الرحمن" - القرآن وقضايا الإنسان - الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ - ص١٠٠).

قاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا":

إن حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى تحكمها القاعدة الذهبية التى يسندها الكاسانى إلى حديث شريف، وهى: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" (الكاسانى - بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع - جـ٧ ص١١١).

وقد وضع الرسول الكريم هذه القاعدة موضع التطبيق الدقيق، وضرب المثل والقدوة للمسلمين على ذلك، وفى هذا الصدد كتب الدكتور أحمد محمد الحوفى: "كان عليه الصلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب، ويغشى مجالسهم، ويواسيهم فى مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمعون فى جماعة يحكمها قانون واحد، وتشغل مكانا مشتركا، فقد كان يقترض منهم نقودا، ويرهنهم متاعا، ولم يكن ذلك عجزا من أصحابه عن إقراضه، فإن بعضهم كان ثريا، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله، وإنما كان يفعل ذلك تعليما للأمة، وتثبيتا عمليا لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلا على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم" (يراجع: أحمد محمد الحوفى- سماحة الإسلام -القاهرة -سنة ١٩٥٨- ص٨٧، ٨٨).

وجاء فى السيرة النبوية أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتردد فى أن يزور غلاما يهوديا مريضا فى بيته (فهمى هويدى - المرجع السابق - ص١٨٢).

كذلك سجل "ابن اسحق" فى السيرة أن النبى قد أكرم وفادة نصارى نجران، واستقبلهم فى مسجده، وعندما حان موعد صلاتهم قاموا يصلون فى مسجد النبى، وأراد الناس منعهم، ولكنه نهاهم، وقال: دعوهم، فاستقبلوا المشرق وصلوا. وهذا المشهد هو الذى بنى عليه الإمام ابن القيم فتواه التى أوردها فى كتابه "الهدى النبوى" وأجاز فيها "دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين ... وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين، وفى مساجدهم أيضا".

الحكام المسلمون يسيرون على نفس المنوال:

وقد سار على نفس المنوال الخلفاء الراشدون، ومعظم حكام المسلمين، ولا يتسع المقام للحديث بالتفصيل عن التزامهم بقاعدة المساواة بين المسلمين وغير المسلمين. ولعل أشهر الشواهد على ذلك قصة الصبى القبطى الذى شكا إلى أمير المؤمنين فى عمر بن الخطاب ما وقع عليه من ظلم بيدى ابن عمرو بن العاص، فأمر عمر بأن يقتص القبطى من ابن حاكم مصر.. وقبل أن تعرف الدنيا شيئا اسمه حقوق الإنسان، قال عمر بن الخطاب عبارته التى

ظلت تقرع أسماع الزمان على مدى أربعة عشر قرنا: لِمَ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

كذلك سجل التاريخ كيف أصر شيخ الإسلام ابن تيمية على افتكاك جميع أسرى التتار من اليهود والنصارى أسوة بالأسرى المسلمين (يراجع: عبد الرحمن الشرقاوى - الفقيه المعذب ابن تيمية- كتاب اليوم - سنة ١٩٨٥ - ص١٥٧).

مقياس الحضارة:

إن خير مقياس يقاس به تحضر أى مجتمع من المجتمعات، يتجلى فى كيفية تعامله مع الأقليات التى تشاركه الحضارة والوطن.. الأقليات التى لا تساويه فى القوة بحكم عددها، والتى تخالفه فى العقيدة الدينية أو السياسية أو العنصرية... والنص فى "صحيفة المدينة" على أن المسلمين واليهود "أمة واحدة" لخير دليل على أن الإسلام قد سبق جميع الحضارات فى حسن معاملة الأقليات والبر بهم والقسط إليهم.

من الظلم محاكمة الإسلام بتصرفات بعض المسلمين:

من الظلم البين ما تفعله بعض المجتمعات الغربية التى تحاسب الإسلام بتصرفات بعض المسلمين، فالعدالة تقضى بأن تقاس تصرفات المسلمين بمعايير الإسلام، والعكس ليس صحيحا

بأى حال، إذ لا ينبغى أن يحاكم الإسلام بتصرفات قلة من المسلمين.

أسأل الله -جلت قدرته- أن يفتح عيون وقلوب من يحيدون عن تعاليم الإسلام، ليكتشفوا ما يزخر به هذا الدين من سماحة وقيم سامية.



كلمة المؤلف

فى الجلسة المسائية فى أول نوفمبر ١٩٩٥
فى المؤتمر البرلمانى الدولى الثانى
للأمن والتعاون فى حوض البحر المتوسط
فاليتا (مالطا)، ١-٤ نوفمبر سنة ١٩٩٥

السيد الرئيس
السادة الأعضاء

التزاما بالوقت المتاح، أركز حديثى فى الموضوعات الآتية:

أولا: أود التأكيد على أهمية ما انتهت إليه مناقشات السلة الثالثة المعنية بحوار الحضارات وحقوق الإنسان والتى عقدت فى كاليارى (إيطاليا فى يوليو سنة ١٩٩٤) والتشديد بصفة خاصة على أهمية النقاط الآتية:

١- أن الحوار بين الحضارات يجب أن يعنى بمعالجة المشكلات الحقيقية القائمة والمستقبلية ولا يتركز حول الماضى.

٢- أن مبادئ التسامح والاحترام المتبادل والعدالة والمساواة ينبغى أن تكون مبادئ ومفاهيم أساسية للحوار بين الحضارات.

٣- أن التطرف لا يقتصر فحسب على المجتمعات الإسلامية، بل يوجد بدرجات متفاوتة فى المجتمعات المسيحية واليهودية فى منطقة المتوسط.

٤- أن التطرف ينجم بصفة أساسية عن تدهور مستويات المعيشة الاقتصادية والاجتماعية، ويؤثر بالسلب على الاستقرار، ويفسد علاقات الجوار، ويوسع الفجوة الثقافية بين الشعوب.

ثانيا: أود الإشارة إلى أن أجهزة الإعلام الغربية التى تتحكم فى تدفق المعلومات، تسهم إلى حد كبير فى تكريس عوامل التوتر ومظاهر عدم الثقة المتبادلة وتخل بمبادئ التسامح والاحترام المتبادل التى يتعين أن يقوم على أساسها حوار الحضارات.

ومثال ذلك دور هذه الأجهزة فى إعطاء صورة نمطية سلبية عن الإسلام وتصويره كخطر وعدو للحضارة الغربية، اعتمادا على فهم خاطئ يسوى بين جماعات الإرهاب التى تتخذ من الإسلام ستارا لتحقيق أهدافها السياسية وبين الإسلام كدين يدعو إلى التسامح ونبذ العنف واحترام حرمة الحياة الإنسانية.

وأنى كمصرى مسيحى، درست الإسلام دراسة متعمقة، واستخلصت من هذه الدراسة حقيقة هامة وهى أن الإسلام دين العدالة والمساواة والرحمة وحسن المعاملة للناس جميعا وخاصة أهل الكتاب منهم. ولذلك فإن الإسلام برىء تماما من الأفعال الإرهابية التى ترتكب باسم الإسلام. ومن الظلم الفادح أن يحاكم الإسلام بتصرفات بعض المسلمين، وإنما العكس هو الصحيح، إذ يجب أن تقاس تصرفات المسلمين بمعايير الإسلام.

أهم الاقتراحات والتوصيات:

١- دعم وتعزيز التعاون الثقافى بين الدول المتوسطية ولا سيما فى مجالات الحفاظ على التراث المشترك للمتوسط، ومكافحة الاتجار غير المشروع فى الآثار، وتعزيز التعاون بين الجامعات، وتبادل إقامة المعارض الثقافية والفنية، والتعاون فى مجالات السينما والمسرح والإعلام وغير ذلك من المجالات التى تستهدف تحقيق التعاون وتوطيد أواصر الصداقة والتعاون بين شعوب المتوسط.

٢- التصديق على المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، ولا سيما ما يتعلق منها بحقوق المرأة والطفل، وتضمين المبادئ والمعايير التى أقرتها هذه المواثيق فى التشريعات الوطنية،

وتنقية هذه التشريعات من كل ما يمثل انتهاكا لحقوق الإنسان.

٣- تدعيم دور اللجان البرلمانية المتخصصة فى متابعة أوضاع حقوق الإنسان ووقف انتهاكاتها.

٤- اتخاذ كافة التدابير لدعم فعالية مؤسسات المجتمع المدنى وتعزيز استقلاليتها ولا سيما الجمعيات المعنية بالدفاع عن حقوق الإنسان.

٥- تعزيز الوعى الاجتماعى العام بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان ولا سيما من خلال مؤسسات الإعلام والتعليم والتدريب.

٦- ولما كان تقليص الفجوة الثقافية يمثل الهدف الرئيسى لحوار الحضارات انطلاقا من أن الداء الرئيسى الذى يضر بالعلاقات بين شمال المتوسط وجنوبه هو فى الأساس ذو طبيعة ثقافية خاصة فى ظل بعض الادعاءات التى تربط بين الدين الإسلامى والإرهاب، فإننا ندعو إلى حث الحكومات ومن خلال التعاون مع البرلمانيين على تشكيل فرق بحث من المتخصصين وأساتذة الجامعات والمعنيين بمسائل الحوار الثقافى، تكون مهمتهم الأساسية البحث فى إيجاد آليات وقنوات تعمل على خلق إدراكات متبادلة وسليمة بين شعوب المتوسط، وكذلك دراسة الوسائل التى يمكن بها للبلاد الأقل تقدما استيعاب النظم

الاقتصادية والتقنية مع مراعاة ميراثهم التاريخى وبيئتهم الثقافية والاجتماعية واستكشاف أسباب التباين الثقافى بين الشمال والجنوب، وطرح أفكار تمكن من تحقيق التفاهم الثقافى بين ضفتى المتوسط.

٧- تشجيع وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم على تعزيز قيم التسامح والاحترام والتفاهم المتبادل بين شعوب المتوسط، وعلى احترام الاختلافات والتنوعات الثقافية والعرقية والدينية فى منطقة المتوسط.

٨- دعم جهود المحكمة الدولية لمحاكمة مجرمى الحرب التى أنشأتها الأمم المتحدة، ولا سيما تسهيل مهمتها بشأن محاكمة مجرمى الحرب فى البوسنة والهرسك.

وختاما أشكر برلمان وشعب وحكومة مالطا لحسن استضافتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التعايش بين المسلمين وغير المسلمين
فى المجتمع الإسلامى

بحث مقدم للمؤتمر العام حول

"عطاء الأديان لخدمة الإنسان"

المنعقد بمدينة الإسكندرية

فى ٧-١٠ أغسطس سنة ١٩٩٥

دراسة الإسلام:

يرجع اهتمامى بدراسة موضوع التعايش بين المسلمين وغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى إلى سنين طويلة، منذ أن وقعت فى أوائل السبعينات بعض الأحداث المؤسفة التى سميت -خطأ- بالفتنة الطائفية. فعكفت على دراسة الإسلام دراسة متعمقة، خرجت منها بنتيجة هامة هى أن الإسلام دين العدالة والمساواة والرحمة والمودة وحسن المعاملة للناس جميعا، وخاصة أهل الكتاب منهم. بل إن الإسلام يأمر بالرحمة والشفقة على الحيوان، وكلنا نعرف قصة المرأة التى ألقيت فى جهنم لأنها عذبت هرة، والرجل الذى دخل الجنة لأنه أطفأ ظمأ كلب عطشان، فإذا كان

هذا هو موقف الإسلام مـن الحيـوان، فكم بالأحرى يكون موقفه من الإنسان.

إن جميع سور القرآن الكريم تبدأ بعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم"، وكلمة "الرحمن" تعنى العظيم الرحمة، وكلمة "الرحيم" تعنى الدائم الرحمة.

كما أن القرآن الكريم زاخر بمئات الآيات التى تؤكد رحمة الله تعالى بعباده، منها أن الله سبحانه ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام - ١٢)، وهو ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ (الأنعام -١٤٧)، وهو ﴿خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون-١١٨)، كما يقول سبحانه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف - ١٥٦).

كذلك نجد فى القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء - ١٠٧)، وفى موضع آخر، نجد القرآن الكريم يوضح أن صفة الرحمة التى سكبها الله فى قلب نبيه، كانت من أعظم الأسباب التى حملت أتباعه على محبته الصادقة وعلى الالتفاف من حوله وعلى افتدائه بأنفهسم وأموالهم، إذ يخاطب الله -عز وجل- نبيه بقوله ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران - ١٥٩).

فهل بعد كل هذا يتهم الإسلام بأنه دين الإرهاب والعدوان وسفك الدماء وترويع الآمنين؟! من المؤكد أن فى مقدمة الأسباب التى أدت إلى هذا الاتهام، تقف تصرفات بعض المسلمين الذين بغضوا الدين إلى خلقه بسوء كلامهم أو بسوء صنيعهم، وقدموا بذلك أعظم هدية إلى أعداء الإسلام.

مكانة الإنسان فى الإسلام:

فى اعتقادى أن المحور الرئيسى الذى يرتكز عليه موضوع التعايش بين المسلمين وغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، هو نظرة الإسلام إلى الإنسان، فالإنسان فى الإسلام يحظى بمكانة كبرى من ثلاث نواح، فقد كرمه الله عز وجل، واستخلفه فى الأرض، وحمله الأمانة (يراجع على سبيل المثال: الإسراء - ٧٠، البقرة - ٣٠، الأحزاب - ٧٢).

هذه النظرة السامية للإنسان -لمجرد كونه إنساناً، وبغض النظر عن أية صفة أخرى فيه- تقود على الفور إلى تأكيد حقيقة ثابتة هى أن الإسلام يساوى بين الناس جميعا، فالتفرقة بين الناس -فيما هو دنيوى- حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم ليست من منهج الإسلام، فالناس جميعا -بنص القرآن الكريم- قد خلقوا من نفس واحدة (النساء -١، لقمان -٢٨). ولذلك كان

الرسول صلى الله عليه وسلم يردد فى دعائه فى صلاة آخر الليل: اللهم إنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن العباد كلهم إخوة.

والأمر الذى ينبغى أن ننبه إليه هو أن ما نادى به الإسلام من المساواة بين الناس جميعا، لم يكن -فى ذلك الوقت- يسيرا على نفوس عاشت على إنزال الأوضاع القبلية منزلة تكاد تكون مقدسة، إذ كان عرب الجاهلية يحتفظون بأنسابهم جيلا بعد جيل بصورة يصعب أن تجد لها نظيراً فى أمة من الأمم، بل وقد كان من أسباب هجوم قريش على الدعوة الإسلامية، أنها أنزلت على رجل فقير، وقد سجل القرآن الكريم ذلك (الزخرف- ٣١ و٣٢).

إن الإسلام يجعل للإنسان طبيعة مكرمة، لا تتقيد بجنس أو دين أو مكانة اجتماعية. ومن هذه الطبيعة -التى تحددت معالمها فى القرآن الكريم- يستمد الإنسان حقوقه، فلا يصح أن يتعرض إلى اضطهاد أو ظلم أو إيذاء أو تفرقة فى المعاملة بسبب العرق أو اللون أو العقيدة أو الدين.

قاعدة التعايش بين المسلمين وغير المسلمين:

انطلاقا من مبدأ المساواة بين الناس جميعا، وضع الإسلام أساس التعايش بين المسلمين وغير المسلمين فى القاعدة الذهبية

التى يسندها الكاسانى إلى حديث نبوى شريف، وهى "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" (يراجع: الكاسانى بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع - ج٧ - ص ١١١).

وكتب الحديث زاخرة بالأحاديث النبوية الشريفة التى تحذر من ظلم غير المسلمين من أهل العهد والذمة، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم "من ظلم معاهدا أو أنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة" (رواه أبو داود عن عدة من أبناء الصحابة)، وقال أيضا "من آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة" (جامع الأحاديث للإمام السيوطى - ج٢، ص٥٤٧)، وقال أيضا "من آذى ذميا فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله" (جامع الأحاديث للإمام السيوطى- ج٢، ص١٥٨).

ويلاحظ أن معنى الإيذاء لا ينصرف إلى الإيذاء المادى أو الجسدى فحسب، ولكنه يشمل أيضا الإيذاء المعنوى الذى يقوم أساسا على المساس بالشعور والكرامة. وقد ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم فى مقام توجيه المسلمين إلى التأدب والتوقير فى معاملة النبى ودعوتهم إلى عدم دخول بيته بغير إذن، إذ جاء فى سورة الأحزاب **﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾** (الأحزاب - ٥٣).

التزام الحكام المسلمين بقاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا":

لقد سار على نفس المنوال الخلفاء الراشدون ومعظم حكام المسلمين (باستثناء بعض عهود الضعف والتدهور التى كان الظلم فيها يقع على المسلمين وغير المسلمين معا). ويعوزنى الوقت الطويل لسرد مظاهر تطبيق قاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"، لذلك أكتفى فى هذا الصدد بأن أقرر أن الإسلام هو صاحب مبدأ "التضامن الاجتماعى"، وهو مبدأ عام فى الإسلام يشمل جميع أفراد المجتمع، مسلمين وغير مسلمين، والشاهد على ذلك ما رواه المؤرخون من أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد مر بسائل يسأل، وكان شيخا يهوديا ضريرا، فاصطحبه عمر وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجد، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (يراجع: عبد الرحمن الشرقاوى - الفاروق عمر بن الخطاب - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧ - مركز الأهرام للترجمة والنشر- ص٨٦، عبد العزيز حافظ دنيا - العدالة العمرية ومبادئ الإسلام - سلسلة البحوث الإسلامية - السنة ١٩- الكتاب الثانى - مجمع البحوث الإسلامية - ص٦٧ و ٦٨، أحمد محمد الحوفى - سماحة الإسلام - القاهرة سنة ١٩٥٨ - ص٨٩).

كذلك، فإن من أبرز مظاهر تطبيق قاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" هو أن الحكام المسلمين كانوا يساوون بين المسلم وغير المسلم فى إجراءات التقاضى وفى الخضوع لأحكام القانون. ففيما يتعلق بإجراءات التقاضى، يروى أن خصومة بين على بن أبى طالب ويهودى رفعت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنادى عمر عليا بقوله: قف يا أبا الحسن، فبدا الغضب على وجه على، فقال له عمر: أكرهت أن نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء، فقال على: لا، ولكنى كرهت منك أن عظمتنى فى الخطاب فناديتنى بكنيتى، ولم تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعت معى (يراجع: عبد الرحمن الشرقاوى - المرجع السابق - ص٢٧٠).

وفيما يتعلق بالمساواة فى الخضوع لأحكام القانون، أكتفى بالإشارة إلى القصة التى لا نمل تكرارها، وهى قصة الصبى القبطى الذى شكا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ما وقع عليه من اعتداء بالضرب من ابن عمرو بن العاص، فأمر عمر بأن يقتص القبطى من ابن حاكم مصر. وقال عبارته التى سجلها التاريخ: لِمَ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، هذه العبارة الخالدة لم تعرفها المجتمعات الغربية إلا عندما قامت الثورة الفرنسية سنة

١٧٨٩م، وأصدرت إعلان حقوق الإنسان الذى نص على أن يولد الناس أحرارا ومتساوين فى الحقوق.

الإسلام سبق جميع الحضارات فى حسن معاملة الأقليات:

اتخاذ الإسلام قاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" أساسا للتعايش مع غير المسلمين، خير دليل على أن الإسلام قد سبق جميع الحضارات فى حسن معاملة الأقليات والبر بهم والقسط إليهم.



الإسلام والإخاء الإنسانى

كلمة المؤلف فى المؤتمر العام الثامن
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
حول
"الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى"
المنعقد بمدينة القاهرة فى الفترة من ٢٤-٢٦ يوليه سنة ١٩٩٦

إنه لمن دواعى سعادتى الغامرة أن أدعى للمشاركة فى أعمال هذا المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى. وأرى من واجبى أن أتوجه بالشكر والامتنان إلى كل من أعدوا لهذا المؤتمر أو شاركوا فيه، فمما لا شك فيه أن هذا المؤتمر يؤدى حتما إلى إثراء التفاهم بين الأديان السماوية، وإزالة كل ما يسىء إليها أو يشوه صورتها بسبب أفعال قوم يدعون انتسابهم إلى الدين، والدين برئ مما يفعلون.

كذلك لا يفوتنى أن أهنئكم جميعا بحلول ذكرى المولد النبوى الشريف، سائلا الله -جلت قدرته- أن يعيد هذه الذكرى المباركة على الشعوب العربية والإسلامية وقد توحدت كلمتها وعلت مكانتها وعمها الخير واليمن والاستقرار.

نظرة الإسلام للإنسان:

إن كلمتى هذه تتناول موضوع "الإسلام والإخاء الإنسانى"، وفى اعتقادى أن المحور الرئيسى الذى يرتكز عليه هذا الموضوع هو نظرة الإسلام إلى الإنسان، فالإنسان فى الإسلام يحظى بمكانة كبرى من ثلاث نواح، فقد كرمه الله عز وجل، واستخلفه فى الأرض، وحمله الأمانة (يراجع على سبيل المثال: الإسراء - ٧٠، البقرة - ٣٠، الأحزاب ٧٢).

وقد سجلت كتب السيرة والأحاديث الشريفة أن جنازة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام، فقيل له إنه يهودى، فقال مستنكرا: أليست نفسا؟ (سنن النسائى - بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى - ج٣، ص ٤٥، سنن أبى داود- كتاب الجنائز- باب القيام للجنازة - ص٦٤).

كذلك جاء فى خطبة الوداع: "يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وأن أباكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله

أتقاكم، ليس لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر، فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت. اللهم فاشهد" (انظر: هذا هو الإسلام - سلسلة ثقافية تصدرها وزارة الأوقاف - الجزء الخاص بسماحة الإسلام وحقوق غير المسلمين - سنة ١٩٩١ - ص٢١).

إن من مفاخر الإسلام التى حازت إعجاب ودهشة المستشرقين، أنه جعل الأسير فى الحرب من المستحقين للبر، ومتساويا فى ذلك مع أيتام المسلمين وفقرائهم، إذ جاء فى سورة الإنسان ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان-٨).

وبناء على مبدأ المساواة بين الناس جميعا، وضع الإسلام أساس التعايش بين المسلمين وغير المسلمين فى القاعدة الذهبية التى يسندها الكاسانى إلى حديث نبوى شريف، وهى "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" (يراجع: الكاسانى - بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، ج٧، ص١١١).

الإساءة إلى الإسلام بسبب تصرفات بعض المسلمين:

يعوزنى الوقت الطويل للكلام عن العدالة والمساواة فى الإسلام، وعما ينادى به الإسلام من إخوة بين الناس جميعا، ولكن

مما يدعو إلى الأسى والأسف أننا نجد بعض المسلمين قد أساءوا إلى الإسلام بسوء كلامهم أو بسوء صنيعهم، مستهدفين بذلك تحقيق مطامع سياسية أو أهواء شخصية، وهم بذلك يشوهون صورة الإسلام فى عيون الغرب، وينسبون إليه ما ليس فيه، ويجعلون من يجهلون حقيقة الإسلام يعتقدون أنه دين الإرهاب والعدوان وسفك الدماء وترويع الآمنين.

ولا شك أن ما ينادى به هؤلاء القوم من أفكار ومبادئ تتنافى مع صحيح الدين، تجعل بعض البسطاء ينخدعون بها ويصدقونها، ويرجع ذلك إلى تفشى "الأمية الدينية" بينهم، بحيث يتعذر عليهم التمييز بين ما يأمر به الدين، وبين ما يتنافى مع صحيح الدين.

ولذلك فإننى أطالب بالإكثار من قوافل التوعية الدينية، بقيادة علماء الدين، لتبصير الناس بحقيقة دينهم، كما أطالب -أيضا- بالإكثار من رحلات علماء الدين إلى دول الغرب لإصلاح صورة الإسلام فى عيون هذه الدول. وبهذه المناسبة فإن الرحلة الناجحة التى قام بها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر فى العام الماضى إلى الولايات

المتحدة الأمريكية (وكان فى ذلك الوقت يشغل منصب مفتى الديار المصرية) كان لها أطيب الأثر فى تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام.

لقد أصبح الإرهاب ظاهرة دولية، ومن الظلم أن يحاكم الدين بالأفعال الإجرامية التى يرتكبها الإرهابيون.

أسأل الله أن يهدى الجميع إلى سواء السبيل.

حقوق غير المسلمين
فى المجتمع الإسلامى

كلمة المؤلف فى المؤتمر العام التاسع
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
حول
الإسلام والغرب: الماضى - الحاضر - المستقبل
المنعقد بمدينة القاهرة فى الفترة ١٣-١٦ يوليه ١٩٩٧

مقدمة:

إنه لمن دواعى سعادتى الغامرة أن أدعى للمشاركة فى أعمال هذا المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول "الإسلام والغرب: الماضى - الحاضر - المستقبل". وأرى من واجبى أن أتوجه بالشكر والامتنان إلى كل من أعدوا لهذا المؤتمر أو شاركوا فيه، فهذه المؤتمرات تؤدى حتما إلى إثراء التفاهم بين الأديان السماوية، والوقوف على الأرضية المشتركة بينها، وإزالة كل ما يسىء إليها أو يشوه صورتها بسبب أفعال قوم يزعمون انتسابهم إلى الدين، والدين برىء من تصرفاتهم.

ولا يفوتني أن أهنئكم جميعا بحلول ذكرى المولد النبوى الشريف، سائلا الله -جلت قدرته- أن يعيد هذه الذكرى المباركة على الشعوب الإسلامية والعربية، وقد توحدت كلمتها وعلت مكانتها وعمها الخير واليمن الاستقرار.

مكانة الإنسان فى الإسلام:

فى اعتقادى أن المحور الرئيسى الذى يرتكز عليه موضوع حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، هو نظرة الإسلام إلى الإنسان، فالإنسان فى الإسلام يحظى بمكانة كبرى من ثلاث نواح: فقد كرمه الله عز وجل، واستخلفه فى الأرض، وحمله الأمانة. (يراجع على سبيل المثال: الإسراء - ٧٠، البقرة - ٣٠، الأحزاب، ٧٢).

إن الإنسان فى نظر الإسلام هو مخلوق الله المختار، الذى نفخ فيه من روحه، وفضله على جميع المخلوقات. وليس للمسلم من هذه الزاوية أى أفضلية على غيره، وإنما هو إنسان شأن أى إنسان آخر. (فهمى هويدى: الاشتباك الموهوم بين الإسلام والتعددية، الأهرام، ١٨/٦/١٩٩٦).

دستور حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى:

انطلاقا من مبدأ المساواة بين الناس جميعا، وضع الإسلام أساس التعايش بين المسلمين وغير المسلمين فى القاعدة الذهبية التى أسندها الكاسانى إلى حديث نبوى شريف، وهو "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" (يراجع: الكاسانى، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، ج٧، ص١١١).

ولم تكن هذه القاعدة مجرد شعار يرفع، بل تم تسجيلها فى أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام، وهى الوثيقة التى حررها النبى صلى الله عليه وسلم وهو يرسى أسس المجتمع الإسلامى فى المدينة، والتى عرفت باسم "صحيفة المدينة"، فقد تضمنت نصا إعتبر اليهود مع المسلمين "أمة واحدة"، بحيث عوملوا كمواطنين فى الدولة الإسلامية الوليدة، ولم يعاملوا كأجانب أو رعايا من الدرجة الثانية.

هذه الوثيقة جعلت غير المسلمين المقيمين فى دولة الإسلام مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين.

هذه الوثيقة تعد مفخرة من مفاخر الإسلام، لأنها سبقت المواثيق العالمية والدساتير الوطنية بقرون عدة فى مجال تطبيق مبدأ الحرية الدينية فى ظل ظرف الأمن والسلام الاجتماعى القائم على مبدأ الوحدة الوطنية بين ذوى العقائد الدينية المختلفة.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الرسول الكريم قد طبق قاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" فى كافة معاملاته وحياته الشخصية، وضرب المثل والقدوة للمسلمين على ذلك.

اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير:

عندما جاء عمرو بن العاص فاتحا لمصر، وضع أمام عينيه الآية الكريمة ﴿لا إِكْـرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، والتزم بمبدأ التعددية الذى أرسته "صحيفة المدينة" وخاصة أنه وجد الأقباط يعانون من اضطهاد مذهبى مرير على أيدى الرومان المسيحيين، بسبب الخلاف حول الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد المسيح. وقد سجل التاريخ أن الأقباط قد ساعدوا المسلمين على فتح مصر، ورحبوا بهم لإنقاذهم من الاضطهاد الذى كانوا يتعرضون له على

أيدى الرومان، وقد بادر عمرو بن العاص إلى إعادة البابا بنيامين - بطريرك الأقباط- إلى كرسيه بعد أن ظل هاربا فى الصحراء لمدة اثنى عشر عاما، كما أعاد للأقباط كنائسهم التى اغتصبها الرومان، وخطب فى أول جمعة صلاها بجامعه بالفسطاط قائلا: "... استوصوا بمن جاوركم من القبط خيراً، فإن لكم فيهم ذمة وصهراً، فكفوا أيديكم، وعفوا، وغضوا أبصاركم".

ومنذ الفتح الإسلامى الذى أنقذ الأقباط من ظلم الرومان، استوعب الأقباط جيدا الدرس الذى تلقوه من الإمبراطورية الرومانية المسيحية، وأدركوا أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير بين أبناء مصر جميعا.

لقد عبر الرئيس محمد حسنى مبارك عن هذه المعانى أصدق تعبير فى خطابه فى عيد العمال (١٩٩٧/٤/٣٠) عندما قال بالحرف الواحد: "إن أقباط مصر هم جزء أصيل من نسيجها الوطنى، مواطنون شرفاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا، حقوقهم مصونة لأنها حقوق كل مصرى، شركاء أصلاء فى وطن يعتنق

السماحة، تعلم منذ ثورة ١٩١٩ أن الدين لله والوطن للجميع. (جميع الصحف الصادرة يوم ١/٥/١٩٩٧).

إننى أقول للذين يحاولون إشعال نيران الفتنة الطائفية، أو بذر بذور الشقاق بين الأشقاء: اقرأوا تاريخ مصر... واستوعبوا دروسه جيدا ... وعندئذ ستدركون مدى الخطأ الفادح الذى ارتكبتموه فى حق مصر والمصريين.



محاضرة
كبير أساقفة كانتربرى بمشيخة الأزهر

يوم الأربعاء ١٩٩٩/١١/٢٤

ألقى الدكتور جورج كارى كبير أساقفة كانتربرى ورئيس الكنيسة الإنجيلية الرسمية للمملكة المتحدة، محاضرة بمشيخة الأزهر يوم الأربعاء ١٩٩٩/١١/٢٤، قال فيها إنه يؤمن بأهمية بناء أقوى العلاقات بين القيادات الإسلامية والمسيحية، وينبغى أن تقوم العلاقات بين المسلمين والمسيحيين على الصداقة والتعاون والتفاهم والتبادلية لا الانغلاق، وأن الاحترام المتبادل بين الطرفين يتطلب قدراً أعظم من التسامح والتفهم والالتزام بالتعايش السلمى مع المختلفين فى العقيدة. وأضاف أنه لديه إعجاب شديد بما يحتويه الإسلام من تسامح كما فى الآية الواضحة "لا إكراه فى الدين"، كذلك يعجبه وصف القرآن للمسيحيين واليهود بأنهم "أهل كتاب"، لذلك فإن العالم الذى نتقاسمه معاً يجب أن يتصف ببعض القيم والإيمان والوسطية فى العبادة والتسامح والاحترام وإفساح المجال لمعتقدات الآخرين.

وقد أكد الدكتور كارى أهمية تكثيف الحوار بين الأديان لتدخل الأسرة الدولية القرن الحادى والعشرين بأمل ورجاء كبيرين، والسعى لإصلاح ظروف معيشتنا جميعا، وأن اختلاف الرؤى والمعتقدات يجب ألا يباعد فيما بيننا، بل يجب علينا أن نبحث عن القواسم وندعمها مثل حرصنا على القيم وحب الله.

وأضاف الدكتور كارى أن لقاءيه مع شيخ الأزهر والبابا شنودة، استهدفا دعم التعاون وتعزيز التفاهم واستمرار الحوار، وأنه يحرص على إطلاع الناس فى الغرب على أن الإسلام دين تسامح ومعتدل وأن العنف ليس من روح الإسلام فى شىء.

وقد عقب الإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر على المحاضرة بقوله إننا نتفق مع كبير الأساقفة حول هذه المبادئ الإنسانية، فقد جمع القرآن الكريم ذلك بقوله "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

وقد حضر هذا اللقاء جمع كبير من القيادات الدينية منهم قداسة البابا شنودة الثالث، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، كما حضره أيضا جمع كبير من أفراد الشعب.

فهرس

الموضوعات	الصفحة

الصفحة

القسم الثانى

المساواة فى الإسلام



الصفحة





المؤلف
المستشار الدكتور إدوار غالى الدهبى

- تخرج فى كلية حقوق القاهرة سنة ١٩٥٣، وعيِّن مندوباً مساعداً بإدارة قضايا الحكومة، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٦٠- وتدرج فى المناصب القضائية حتى عيِّن فى ١٩٩٠/٧/١ رئيساً لهيئة قضايا الدولة.

- أعير للتدريس بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، ثم بجامعة بنغازى بليبيا، لمدة تسع سنوات، ثم للتدريس بالدراسات العليا بجامعة الزقازيق.

- اشترك فى تقييم ومناقشة بعض رسائل الدكتوراه، واختارته جامعة بنغازى عضواً فى لجنة ترقية أعضاء هيئة التدريس بها، كما اختارته كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود بالرياض ضمن قائمة المحكمين الخاصة بمركز البحوث بها.

- عُيِّن فى أغسطس سنة ١٩٩١ مستشاراً متفرغاً لرئيس مجلس الشعب.

- عُيِّن فى أبريل سنة ١٩٩٢ عضواً بمجلس الشعب فى المكان الذى خلا بانتخاب الدكتور بطرس غالى أميناً عاماً للأمم المتحدة. ثم أعيد تعيينه فى ديسمبر سنة ١٩٩٥.

- حصل فى احتفالات المولد النبوى الشريف فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٩٤ على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى تقديرا لكتاباته المنصفة للإسلام.

- له ما يزيد على عشرين كتاباً فى القانون أعيد طبع معظمها أكثر من مرة، وله ما يزيد على أربعين بحثاً قانونياً نشرت فى مختلف المجلات القانونية.



هذا الكتاب

منذ التقاء الإسلام والمسيحية على أرض مصر عاش الشعب المصرى الواحد - بمسلميه وأقباطه - كأسرة واحدة يسودها الود والحب والإخلاص المتبادل فى كافة مناحى الحياة، ولذلك يخطئ كل من يتوهم أن الوحدة الوطنية فى خطر، أو أنها يسهل النيل منها عن طريق إحداث الفتن الداخلية أو استعداء الأجنبى.

وهذا الكتاب يشمل قسمين:

القسم الأول: يتناول الرد على دعاة الفتنة الطائفية.

القسم الثانى: يتناول المساواة فى الإسلام، الذى يدعو إلى قبول الآخرين المختلفين فى العقيدة والتعايش السلمى معهم ومعاملتهم بموجب القاعدة الذهبية "لهم ما لنا وعليهم ما علينا".

إنه كتاب يهم كل مواطن غيور على بلده، ومخلص لها، وحريص على وحدة أبنائها.

أحمد غريب